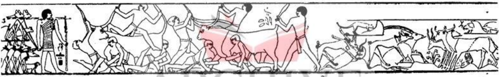
من تاريخ أبي التاريخ

فصول مختصرة من كتاب

تاريخ هيرودوت

اختصار : ا . ج . إيفانز
ترجمة : أمين سلامه



ظهور النثر واتخاذه وسيلة للتعبير الأدبي يجيء في العادة متأخرا عن ظهور الشعر ، فاذا استثنينا القوانين والشرائع اليونانية المبكرة وجدنا أن النثر اليوناني كان مصطبغا بالصبغة العلمية عند أول ظهوره في اللغة اليونانية ، وكان أهم ما يعنى كتاب النثر أن تكون كتابتهم واضحة، وقد مهد هذا الاتجاه لظهور النثر الذي يجمع بين الوضوح وحسن التعبير ، وقد نحت النزعة العلمية اليونانية نحو العلوم الطبيعية ، في أيونيا ، وكان معنى ذلك أن النظر في الانسان ودراسته لابد أن يجيء عاجلا أو آجلا ، وقد استطاع الشعر الملحمي أن يرضى الميل الطبيعي في نفوس اليونانيين الى معرفة ماضيهم وسالف امجادهم ، وكان هذا الشعر الملحمي يزعم انه سجل أمين للماضي وصورة صادقة لأمجاده وأحداثه ، ولكن ظهور الروح العلمية كان معناه انه لا يمكن الاستمرار في قبول أخبار الملاحم بغير مراجعة ولا نقد واعتبارها وحيا لا يشوبه الباطل ولا يتخلله الكذب والمبالغة ، وظهر قليل من النثر التاريخي ضمن الأساطير وسلاسل الأنساب التي كانت تجمع ارضاء لأعيان العصر المعنيين بأنسابهم ، ولكن لم تكن هناك كتابة للتاريخ بالمعنى المألوف حتى نشوب الحرب بين الفرس واليونان ، فقد أثارت هذه الحرب في نفوس اليونانيين حب الاستطلاع ، وحركت عندهم الرغبة في تعرف أحوال هؤلاء القوم الذين هددوا الحضارة اليونانية وتصدوا لكبرياء اليونانيين ، وكان انتصارهم على الامبراطورية الفارسية مما زادهم حرصا على تدوين اخبار تلك الحرب ، وكان هيكاتيوس الميليتي هو اول من تصدى لكتابة التاريخ الحقيقي ، قائلا « ما اكتبه هو البيان الذي اعده مطابقا للحق والقصص اليونانية كثيرة وفي رايي انها تستوجب الضحك والسخرية » وكانت كتابته اقرب الى الجغرافيا منها الى التاريخ ، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على الكثير من المعلومات التاريخية،



مراجعة : كمال الملاخ

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر
١٨٨ صفحة ١٧×٢٤ سم - الثمن ٢١ قرشا



وقد اقبل على الكتابة بروح المفكر الناقد ، وانتقد الأساطير التى تصور الماضى ، وحاول تحرى الصدق فى الكتابة عن عصره ، وكان هدفه أن يقرر الحق لا تسلية القارىء .

وجاء بعده هيرودوت ، وعلت شهرته ، وخلب الألباب بطريقته الفذة فى تسجيل الأحداث ووصف الوقائع والأشخاص حتى اخمل ذكر المؤرخين الذين سبقوه ، واطلق عليه لقب « أبى التاريخ » ، وقد استهل كتابه بقوله « هذه بحوث هيرودوت الهاليكارناسوسى يذيعها آملا انه بذلك يحفظ من البلى ذكرى ما صنعه الرجال ، ويصون الأعمال العظيمة الباهرة التى قام بها اليونانيون والبرابرة من فقدان ماهم خليقون به من المجد ، ولماذا نشبت الحرب بينهما »

ويمكن أن نستبين من ذلك الاعلان محاولته تحرى النزاهة فى كتابة التاريخ ، وان يقف موقف المحايد بين قومه اليونانيين وخصومهم الفرس ، وأنه لم يتجه الى كتابة التاريخ ليجعله وسيلة للوعظ واستخراج الحكم الأخلاقية او لاظهار براعته فى الانشاء والكشف عن مواهبه الأدبية وقدرته الفنية ، والأسلوب السهل السلس الواضح الذى اتبعه فى الكتابة ينم على تأثره بالروح العلمية التى غلبت على عصره ، وقد تناول الحرب الفارسية باعتبارها مظهرا طبيعيا واختار الأسلوب الملائم لوجهة نظره .

وتظهر الروح العلمية فى تصور هيرودوت للتاريخ على انه أحداث متتابعة ، ولكن كتابة التاريخ كانت تقتضيه كذلك التحدث عن الرجال الذين ظهروا على مسرح الحوادث ، والروح العلمية لا تسعفه فى هذه الناحية ، وضخامة المعركة بين الفرس واليونان وشعوره بعظمتها فرضا عليها أن يتصورها فى صورة ملحمة من الملاحم التى قرأها وتشبع بها فى الأدب الهومرى ، والملاحم التى نظمها الشعراء اليونانيون بعد عصر هومر حتى انتهاء القرن السادس قبل الميلاد .

وقد شاء القدر أن تكون حياة أبى التاريخ محفوفة بالغموض من شتى نواحيها ، وبرغم كثرة ما كتب عنه فان مسائل كثيرة فى حياته لا يمكن القطع بصحتها ، فنحن نجهل سنة مولده ووفاته ، وكيف وأين قضى معظم أيام حياته ، والسبب الذى حفزه الى كتابة كتابه الضخم الحافل ، ومتى قام برحلاته ومغامراته ، ولماذا قام بها ، ومعلوماتنا عنه مستمدة من كتابه .

والمرجح انه ولد حوالى سنة ٤٨٠ ق.م بمدينة هاليكارناسوس الواقعة فى جنوب آسيا الصغرى ، وهو ينتمى الى أسرة من الأسر الموسرة العريقة الحسب التى اشتهرت بحبها للأدب والفنون ، وقد غرست فيه هذه النشأة حب الاستطلاع ، وقوت رغبته فى المعرفة ، فأكب على قراءة الأدب ، وعنى بالاطلاع على الشعر بوجه خاص ، وحينما ناهز العشرين من عمره خاض لجج السياسة ، وشارك فى الحركة القومية التى تزعمها عمه الشاعر الملحمى بانياسيس للاطاحة بحكم الطاغية لوجداميس ، وقد قتل لوجداميس عمه ونفاه ، وكان ذلك

قبل سنة ٤٥٤ ق.م ، وقد ذهب الى جزيرة ساموس ، ولم تطل اقامته بها ، فقد آثر العودة الى هاليكارناسوس للمشاركة فى القضاء على حكم الطاغية لوجداميس وتوطيد النظام الديمقراطى فى مسقط راسه ، واضطرته الدسائس السياسية على ما يبدو الى الرحيل والقيام بمغامراته التى كان لها اكبر الأثر فى كتابة تاريخه ، وقد مر بفينيقيا فى طريقه الى مصر ، وتوغل فيها حتى وصل الى جزيرة دالفنتين ، ووصل فى رحيله غربا الى قورينة وشرقا الى سوسه وشمالا الى المدن اليونانية الواقعة على شاطىء البحر الأسود ، وقدم اثينا قرابة سنة ٤٤٧ ق.م مزودا بمجموعة ضخمة من الأخبار والمعلومات التاريخية والجغرافية عن الدول المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط وتاريخها وعادات أهلها ، وقد استعان بهذه المذكرات وبما استمده من كتاب المؤرخ هيكاتيوس على تأليف كتابه المشهور ، وقد وصف فى هذا الكتاب حياة الناس فى مصر والشرق الأدنى وبلاد اليونان وتاريخها من ابتداء عصر الخرافة الى نهاية الحرب الفارسية.

وفى بعض الروايات أنه حينما ذهب الى أثينا وقرأ بعض اجزاء كتابه على الجمهور اعجب به الأثينيون اعجابا شديدا ، وراقهم وصفه للحرب وما قاموا به من اعمال مجيدة ، وانهم اثابوه على ذلك .

ويقول بلاكنى فى المقدمة القيمة التى صدر بها الترجمة الانجليزية لكتاب هيرودوت « يحتمل ان يكون هيرودوت قد ظل مقيما فى هاليكارناسوس مع قيامه برحلات طويلة لجمع المعلومات التاريخية والجغرافية حتى قرب عام ٤٤٧ ق.م حيث صار فى حوالى السابعة والثلاثين من عمره ، وقد وصل بمؤلفه الى درجة معينة من التمام ، ولو أنه كان اقل مما صار اليه أخيرا ، عندئذ انتقل الى بلاد الاغريق نفسها ، واقام فى اثينا ، والظاهر ان هاليكارناسوس كانت قد طردت طغاتها قبيل ذلك وانضمت الى الحلف الأثينى ، ولذلك رحب بمؤلفنا الصغير من أجل بلده ، كما رحب به من اجل نفسه ، واذا كان لنا ان نثق بأقوال أيوسيبيوس فان مجلس اثينا قرر فى سنة ٤٤٦ ق.م مكافأة لهيرودوت عن مؤلفه التاريخى العظيم الذى قراه علنا على أهل اثينا » .

وقد انتقل هيرودوت من اثينا الى ثوريوم التى انشئت فى سنة ٤٤٤ ق.م واستقر بها حتى ادركته الوفاة ودفن فى سوق المدينة حوالى سنة ٤٢٦ .

ويعلل بلاكنى انتقاله من أثينا الى ثوريوم الواقعة فى جنوب ايطاليا بقوله « ليس من الصعب ان نستنتج السبب الذى دفع مؤلفنا الى مفادرة اثينا مع اعجاب أهلها به والاقامة فى احدى المستعمرات التابعة لها ، فلم يكن يستطيع الحصول على حقوق المواطن فى اثينا . وان الاغريقى غير المولع بجمع الأموال او المهتم بدراسة الفلسفة ليشق عليه الا تكون له حقوق سياسية كى يشترك فيما يكون الحياة اليومية ويشغل الفكر باستمرار فيما حوله ، وقد قال



ارسطو « لا يكون الرجل رجلا الا اذا كان مواطنا » وهذا هو الشعور الذى كانت تحس به جميع الأمة الاغريقية ، وفضلا عن هذا كانت الحياة فى اثينا شأنها شأن سائر العواصم ، باهظة النفقات ، وان الثروة التى كانت تعتبر طائلة فى هاليكار ناسوس اذا لم تكن قد نفدت فى اثينا فانها لا تكاد تمكن الانسان من الحياة فيها ، ويدل قبول هيرودوت مبلغا من المال من الشعب الأثينى على ان موارد معيشته كانت قد انخفضت وقت ذاك ، ربما تكون موارده قد نضبت من جراء نفقات رحلاته الطويلة ، وتأثرت بمفادرته هاليكارناسوس ، وعلى أية حال دفعته ظروفه الى الترحيب بالدعوة التى وجهتها اثينا الى المغامرين فى جميع انحاء بلاد الاغريق كى يحصل كل منهم على قطعة ارض تجعله فوق مستوى الاحتياج وينال فيها حقوق المواطن . وعلى ذلك انضم هيرودوت فى سنة ٤٤٢ ق.م

وكان قد جاوز الأربعين من عمره بناء على الشهادة الاجتماعية لقدامى الكتاب ، الى فئة المستعمرين الذين ارسلهم بيركليس الى ايطاليا، وصار من أوائل مستوطني ثوريوم »

ويرى المؤرخ المعروف ج . ب . بيورى أن اهم رحلات هيرودوت رحلته الى بابل ورحلته الى مصر ، وانه قام بهاتين الرحلتين فى الجزء الأخير من حياته ،و هو من مواطنى مدينة ثوريوم ، وان السنوات التى انقضت بين نفيه من مسقط راسه وارتحاله الى مستقره الجديد كان فى خلالها على الأرجح فى أثينا يجمع اخبار غزو كسير كسيس ، ويرى بيورى أنه من المحتمل ان يكون هيرودوت قد زار أثينا وهو فى طريقه الى الشرق او فى عودته منه ولكن ليس هناك ما يحملنا على الظن بأنه ترك ثوريوم وأقام فى أثينا فى السنوات الأخيرة من حياته كما رأى بعض الباحثين .

ويدور كتابه فى التاريخ حول سرد العلاقات بين اليونان والفرس منذ اعتلاء كرويسوس عرش ليديا حتى سقوط سيستوس سنة ٤٧٨ ق.م وتقسيم الكتاب الى تسعة أجزاء لم يقم به المؤلف لأن مثل هذا التقسيم لم يكن متبعا فى عصره ، وقد قام بذلك احد الناشرين الأسكندريين ، والأجزاء الثلاثة الأولى تشمل حكم كيروس وقمبيز واستيلاء دارا على عرش فارس ، وفى الجزء الرابع الخامس والسادس يتناول عهد دارا ، والأجزاء الباقية يتحدث فيها عن كسيركسيس ، والاجزاء الثلاثة الاولى ضمنها تاريخ أسيا ومصر والأجزاء الثلاثة التالية ذكر فيها ما عرفه من تاريخ أوروبا والأجزاء الثلاثة الأخيرة تناولت تاريخ اليونان، وقد تحدث فى اجزاء الكتاب عن ظهور الدولة الفارسية وانتصاراتها ومقاومة اليونانيين لها وانتصارهم عليها واخفاق الفرس فى الاستيلاء على اسكوذيا وهزيمتهم فى مرثون وغزو كسير كسيس وانتصاره فى ترموبولى واندحاره فى سلاميز .

والعنصر الجغرافى ظاهر فى شتى اجزاء الكتاب حتى ذهب بعض النقاد الى أنه كان يقصد فى بادىء الأمر أن تكون بعض أجزائه كتابا



فى الجغرافيا ، ولكنه ادمجها بعد ذلك فى كتابه عن التاريخ ، ولكن ليس هناك ما يحمل على قبول هذا الرأى ، وكان امتزاج التاريخ بالجغرافيا من سمات المؤلفات التاريخية فى اول عهد اليونان بكتابة التاريخ ، وقد اقتدى هيرودوت بالمؤرخ هيكاتيوس فى مزج الجغرافيا بالتاريخ ، وعول عليه واقتبس منه وان كان من الحين الى الحين يوجه اليه بعض النقدات لكى يثبت تفوقه عليه .

وقد لوحظ عليه أنه كثير الاستطراد ، ولا يتردد فى عرضه للأحداث من التوقف عن متابعة السرد ليروى قصة شائقة أو نادرة طريفة او بعض المعلومات الشائقة والملحوظات الطريفة التى تنفى الملل عن القارىء وتجدد نشاطه وتشحذ شهيته لمتابعة سرد الحوادث وتصوير الوقائع ، وقد اتبع طريقة هومر فى جعل الأشخاص يتحدثون ، فكسيركسيس وماردونياس وارتبانوس يبدى كل منهم رأيه ويدلى بحجته قبل البت فى غزو بلاد اليونان ، واتباع هيرودوت لهذه الطريقة جعل مشاهده واضحة متألقة وبث فى الكتاب حيوية قوية وأسبغ عليه نفحة

ملحمية ، وكان هيرودوت يقصد الى استمالة القارىء واجتذاب انتباهه ، وأن يبلغ بنثره ما بلغه هومر بشعره .

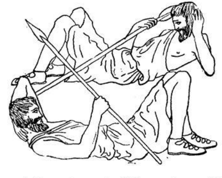
وقد راى هيرودوت فى الصراع بين الفرس واليونان معنى أعمق من النتيجة السياسية ، فهذا الصراع كان فى رأيه احتكاكا وصداما بين طرازين من طرز الحضارة مختلفين ونظامين سياسيين متباينين وشعبين لكل منهما عاداته وتقاليده ومزاجه وعقليته الخاصة ، وقد عمل على توضيح الفرق بين الاوتقراطية الفارسية والديمقراطية اليونانية ، ومعظم الأخبار التى ساقها هيرودوت وكانت تعترض سرد الحوادث قصد بها تأكيد هذا الاختلاف بين نظر الفرس الى الحياة ونظر اليونانيين اليها ، وقد ساعد ذلك على ايجاد الوحدة التى انتظمت المعلومات الكثيرة والروايات المتناثرة التى جمعها الكتاب ، من امثلة ذلك الحديث الشائق بين كرويسوس وسولون الحكيم ، فقد راى سولون ان يقوم برحلات ليرى العالم ، وذهب الى مصر وزار بلاط اماسيس وعرج على سارديس لزيارة كرويسوس — وهو المعروف باسم قارون فى المراجع العربية والذى يضرب به المثل فى ضخامة الثورة وسعة الثراء — « واكرم كرويسوس وفادته واستضافه فى قصره الملكى ، وفى اليوم الثالث أو الرابع امر كرويسوس خدمة ان يطلعوا سولون على كنوزه وعظمته وابهته ، فلما راى سولون كل ذلك وفحص بنفسه كل شىء سأله الملك « أيها الغريب الأثينى ، لقد سمعنا الكثير عن حكمتك ورحلاتك خلال البلدان حبا فى المعرفة ورغبة فى مشاهدة غرائب الدنيا لهذا تجدنى متلهفا لأعرف منك ! من هو اسعد رجل رأيته ؟ » وقد القى كرويسوس هذا السؤال على سولون لأنه كان يظن نفسه اسعد رجل على ظهر الغبراء ، ولكن سولون اجابه بلا نفاق ولا تملق بل تبعا لشعوره الحق « أسعد رجل شاهدته هو تيلوس الأثينى يا سيدى » فذهل كرويسوس مما سمع ، وقال محتدا « ولماذا تعد تيلوس أسعد رجل ؟ » فأجابه سولون قائلا « اولا لأن مملكته ازدهرت فى عصره ، وله هو نفسه أولاد على قدر بالغ من الجمال والصلاح ، ولأنه عاش ورأى كلا منهم ينجب أطفالا ، ورأى أولئك الأطفال وقد كبروا وترعرعوا وزيادة على ذلك فبعد ان قضى حياته فيما يعتبرها شعبنا حياة مريحة مات بمجد منقطع النظير اذهب لنجدة شعبه فى قتال بين الأثينيين وجيرانهم قرب اليوسيس فمات شجاعا فى حومة الوغى ، فدفنه الأثينيون باحتفال رائع فى البقعة التى سقط فيها، وقدموا له أعظم فروض التبجيل والاحترام »

ولم يعجب كرويسوس هذا الكلام وما تلاه من الأمثلة التى ذكرها له سولون ، فقال له وقد تملكه الغضب « اذن فماذا تكون سعادتى أيها الغريب الأثينى اذا لم تقدرها بشىء ولم تضعها حتى فى مستوى الرجال العاديين ؟ »

فقال سولون « اى كرويسوس ، انك لتسأل عن حال الانسان وتوجه سؤالك الى رجل يعرف ان (١) السلطة العليا المشرفة علينا شديدة الغيرة ونزاعة الى خلق المتاعب لنا وايجاد العقبات فى سبيلنا ، والحياة الطويلة تمكن المرء من أن يرى كثيرا ويجرب كثيرا ما لا تحبه .. واما عن نفسى فارى انك واسع الغنى بدرجة مدهشة وانك سيد على عدة امم ، واما **بخصوص السعادة التى تسالنى عنها فليس عندى ما أرد به عليك الا بعد ان أسمع انك انهيت حياتك نهاية سعيدة ، فمن المؤكد ان من يملك خزائن الدنيا من الكنوز ليس اقرب من السعادة ممن يملك ما يكفى حاجته اليومية فحسب ، الا اذا حالفه الحظ ، فقد عاكس الحظ كثيرين ممن يملكون ثروات طائلة كما ساعد الحظ كثيرين من متوسطى الحال ، ... ومن النادر ان يتصف اى رجل بجميع المميزات ، مثله فى ذلك مثل الدول فما من دولة تملك فى بلدها كل ما تحتاجه ، فبينما تملك كل منها أشياء معينة ينقصها اشياء أخرى ، وافضل دولة هى التى تملك معظم احتياجاتها ، كذلك**

---

(١) اعتمدت فيما نقلته من الحوار بين سولون وكرويسوس على ترجمة الأستاذ أمين سلامة وقد اصلحت قوله فى الترجمة « ان السلطة هى أكثر شىء ملء بالحسد » لأنه لايطابق الأصل ولا يظهر المعنى الذى أراده هيرودوت .



الأمر ، ما من مخلوق بشرى واحد كامل من جميع الوجوه ، لابد من وجود نقص ما ، فمن يضم أكبر عدد من المميزات ويحتفظ بها الى يوم مماته حيث يموت هادئا هو وحده ، تبعا لحكمى يا سيدى ، من يصح أن يقال عنه انه سعيد ، اننا ننتظر النهاية فى كل حالة ، فالرب يمنح البشر قبسا من السعادة ، ثم يغمرهم بعد ذلك فى الخراب » .

فهذا الحديث بين العاهل الشرقى الواثق من مكانته والمعتز بثروته والحكيم اليونانى المفكر الذى يعرف تقلب الأيام وتنكر الحظوظ يبين النغمة التى يرددها هيرودوت وهى اظهار الفرق بين العقليتين ، العقلية الشرقية والعقلية اليونانية ، كما ان اشعار هومر تقدم لنا صورة حية للثقافة اليونانية القديمة فكذلك كتاب هيرودوت يعرض لنا وجهات نظر الحضارة الهيلنية فى القرن السادس قبل الميلاد ويصف لنا ثقافة المشارقة الذين اتصل بهم وزار بلادهم .

ولم يتناول هيرودوت تاريخ العصر البطلى ولكنه حينما يعرض لبعض الأساطير المتصلة بذلك العصر يبدى بعض الشكوك ، ولكن ليس معنى ذلك انه كان من المؤرخين الذين يخضعون الأخبار التاريخية لمنطق العقل أو ممن خالجهم الشك فى الدين بوجه عام ، فقد كان ينظر الى الحياة البشرية باعتبارها خاضعة لقوى تفوق قدرة الانسان ، وهذه القوى فى ممارستها للسيطرة التامة على الحياة البشريةتتأثر بنوازع الحسد والغيرة وحب الانتقام أو الغضب الحق ، وهى الى حد ما تتحرى مبادىء العدالة فتثبت المحسن وتعاقب المسىء ، وقد تمد بالمعرفة وتفضى بالأسرار الخفية بطريق الهامها للعرافين او بطريق النذر والعلامات والأحلام ، ولم يكن هيرودوت مستعدا للتسليم بوجود اتصالات بين البشر والآلهة أكثر من ذلك ، ولم تكن فلسفته من القوة والتماسك بحيث تنكر الاتصالات بين البشر والآلهة الوارد ذكرها فى الملاحم ، لأن الفصل بين الأشياء الانسانية والأشياء الالهية لم يكن عنده حاسما ، ولكن اعتقاده ان الاتصالات المباشرة بين الآلهة والبشر كانت مقصورة على العهد البطلى حماه من التورط فى الكثير من الخرافات ، او جعله على الأقل يقف من بعضها موقف الراوى المتشكك ، وهو فى رواياته لبعض الاقاصيص التى تتضمن اشتراك قوى علوية يرفض احتمال التبعة ، ويقول انه يروى ما بلغ مسامعه او يرويها بطريقة تنم على السخرية الخفية والتهكم المستور كما كان يفعل ڤولتير فى القرن الثامن عشر وبأسلوب يرضى المؤرخ الكبير جيبون الذى اظهر فى اتباع هذه الطريقة براعة ترضى احرار الفكر وتقض مضاجع المتشددين فى العقيدة ، فهو عندما روى قصة الثعبان المقدس الذى زعم الأثينيون انه يقيم فى الاكروبول يقول « يقول الأثينيون ان ثعبانا ضخما يعيش فى المعبد ويحرس القلعة ويقدمون فى كل شهر كعكة محشوة بعسل النحل لمخلوق حى » وهى كما يرى القارىء رواية لا تلزمه بشىء !

ولم يرفض هيرودوت فكرة ان الآلهة كانت يوما ما تمشى فى الأرض وتخالط البشر ، ولكنه مع ذلك انكر انتساب هيراكليس وپرسيوس الى الآلهة ويعلل المؤرخ بيورى ذلك بانه تأثر فى هذا الشك بالمؤرخ هيكاتيوس ، ولم يكن هذا الشك ثمرة الحركة العلمية والفلسفية التى ظهرت فى ايونيا وحدها وانما كان كذلك ثمرة الاطلاع على الأساطير المصرية ، لأن تلك الأساطير التى تلقاها هيرودوت عن استاذه هيكاتيوس كانت ترجع بتاريخ الانسانية الى آلاف السنين وترد عهد الآلهة الى الأزمنة العريقة فى القدم . وقد استخلص هيرودوت من ذلك ان التقاليد اليونانية التى ترجع عهد الآلهة الى ما قبل قرابة

ثمانمائة سنة لا يمكن ان تكون صحيحة ، اذ ليس من المعقول ان مصر كانت فى عصر لا يخالط فيه الناس الآلهة على الأرض على حين ان الآلهة كانت تماشى الناس فى بلاد اليونان ، وقد جعل ذلك الشك يتسرب الى فكرة وجود قوى فوق سيطرة الانسان فى العصر البطلى اليونانى .

ولا يشك بيورى فى أن هيرودوت حينما زار مصر كان يحمل معه ما كتبه هيكاتيوس عن رحلته لمصر وأنه استرشد بها فى زيارته للمعابد المصرية ، وقد صحح بعض الأخطاء التى تورط فيها هيكاتيوس ، واضاف معلومات جديدة ولكن كتاب هيكاتيوس كان الأساس الذى بنى عليه ، وان كان لم يذكر ذلك ولم يعترف بما هو مدين به لهذا المؤرخ . ولم يكن القدماء يعنون بذكر المراجع التى استمدوا معلوماتهم منها ولذلك لم تعد اقتباسات هيرودوت من قبيل السرقة الادبية ، وقد اشار هيكاتيوس الى اهمية النيل فى حياة مصر بكلمته المشهورة وهى « ان مصر هبة النيل » وقد اقتبس هيرودوت هذه الكلمة فنسبت اليه .

ويستهل هيرودوت كتابه ببيان ان الصراع بين اليونان والفرس كان يدور حول مسائل دنيوية ، وهو يقول فى ذلك « تبعا لاكثر رجال الفرس معرفة بالتاريخ كان الفينيقيون هم الذين بدءوا بتلك المعاكسات فما ان هاجر اولئك القوم الى بلاد البحر المتوسط واستقروا فى المناطق التى يقيمون فيها الآن حتى شرعوا كما يقال فى القيام برحلات طويلة ، يحملون سفنهم من منتجات مصر وأشور فنزلوا فى عدة أماكن على ساحل ذلك البحر ، ومنها ارجوس التى كانت ضمن الولايات المنضمة وقتذاك تحت الاسم العام « هيلاس » وعرض الفينيقيون بضائعهم على سكان ارجوس ، وظلوا يتاجرون هناك مدة خمسة أو ستة ايام ، وفى نهاية تلك المدة وكانوا قد باعوا كل ما معهم تقريبا حضر الى الشاطىء عدد من السيدات ، من بينهن ايو ابنة الملك ايناخوس الذى كان كما قيل متفقا مع الاغارقة فى نفس هذه القصة ، ووقفت النساء عند مؤخر السفينة منهمكات فى مشترياتهن ، فاذا بالفينيقيين يصرخون جميعا صرخة واحدة وينقضون عليهن ، فهرب أغلب السيدات ، بيد ان المعتدين خطفوا كثيرا منهن وحملوهن الى عرض البحر ، وكانت ايو نفسها ضمن المقبوض عليهن ، وحمل الفينيقيون النساء فى سفينتهم واقلعوا بها الى مصر ، وهكذا كان ذهاب ايو الى مصر تبعا للقصة الفارسية التى تختلف اختلافا بينا عن رواية الفينيقيين ، وهكذا بدات ايضا سلسلة من اعمال العنف تبعا لرواياتهم .

« وبعد ذلك بزمن نزل الاغارقة فى مدينة تورى على الساحل الفينيقى ، ولا يعرف الرواة اسماء هؤلاء الاغريق ، ... وخطفوا يوروبى ابنة ملكها ، وبهذا انتقموا لخطف ايو ابنة ملكهم ، ... وقام الاغارقة بعمل عدوانى ثان اذ استقلوا سفينة حربية وابحروا الى آيا احدى مدن كولخيس الواقعة على نهر فاسيس ، وبعد ان انجزوا المهمة التى حضروا من اجلها خطفوا ميديا ابنة ملك تلك البلاد ، فارسل الملك رسولا الى بلاد الاغريق يطلب التعويض عن تلك الاساءة واعادة الطفلة ، بيد ان الاغريق ردوا عليه بأنهم لم يتسلموا تعويضا عن خطف ايو الا رجوسية ولذلك فهم لن يدفعوا تعويضا عن اساءتهم هذه » .

« وفى الجيل التالى كان الكسندر بن بريام يحتفظ بهذه الأمور فى ذهنه ، وعزم على أن يخطف لنفسه زوجة من بلاد الاغريق ، ومما قوى عزمه ان الاغريق لم يكفروا عن اعمالهم العدوانية ... وهكذا خطف هيلين ، وعند ذلك قرر الاغارقة قبل الالتجاء الى اية اجراءات ان يوفدوا من قبلهم رسلا يطلبون اعادة الأميرة وترضية عن تلك الاهانة ، فقوبل طلبهم بالاشارة الى العدوان السابق بخطف ميديا .. ، وبناء على ذلك كانت الأضرار الحادثة كلها مجرد اعتداءات عادية بين الطرفين ، غير ان الفرس يعتبرون الاغارقة مخطئين ابلغ الخطأ فيما تلا ذلك من الاعتداءات اذ ارسلوا جيشا الى آسيا قبل ان يحدث اى اعتداء على أوروبا ، اما خطف النساء فهو كما يقولون من اعمال الأوغاد ، بينما اعمال الاستفزاز التى حدثت من اعمال المجانين ، فلا يهتم الحكماء بمسائل

مع ربان السفينة عندما كانت راسية فى ارجوس ، ولما وجدت نفسها حبلى صحبت الفينيقيين بمحض ارادتها عند مغادرتهم لبلدهم خشية العار عندما يفتضح أمرها أمام والديها وخوفا من زجرهما اياها » .

ويسترسل هيرودوت بعد ذلك قائلا «وسواء اكانت هذه الرواية الأخيرة صحيحة أم كانت على خلاف ذلك فانى لم أتعرض لمناقشتها وساشرع فى الحديث عن الرجل الذى كان ـ فى حدود معرفتى ـ أول من أساء الى الأغارقة » وكان هذا الرجل هو كرويسوس ملك ليديا الذى أخضع أيونيا دون أى استفزاز من ناحيتها :».

ومن أقوال جيبون عن هيرودوت « انه فى بعض الأوقات يكتب للأطفال وفى أوقات أخرى يكتب للفلاسفة » والواقع ان الأقصوصات والنوادر التى كثيرا ما تعترض سرده للأحداث التاريخية ترضى الفريقين ،و بعض هذه الأقصوصات كان يظن أن لها نصيبا من الحقيقة، ولم تعتورها الشكوك الا فى العصر الحديث .

ويقول بيورى ان هيرودوت كان يميل الى اتباع ثلاثة مبادىء فى نقده التاريخى ، ولكنه لم يكن يتبعها بدقة واحكام ، المبدأ الأول هو الاشتباه فى الأحداث التى تعزى الى قوة فوق سيطرة الانسان او وقوع المعجزات التى تناقض المألوف فى الحياة العادية ولكنه كان لا يطبق هذا المبدأ فى تصديقه بالنذر والاحلام وتكهنات الكهان والكاهنات . والمبدأ الثانى ان المؤرخ عندما تواجهه ادلة متعارضة أو روايات للحوادث مختلفة ان يتحرى النزاهة والتجرد من الأهواء ، وان كان هذا لم يمنع هيرودوت من التحيز للاثينيين . والمبدأ الثالث هو ايثار الأخبار والمعلومات التى يتلقاها المؤرخ مباشرة من الذين شاهدوا الحوادث واشتركوا فى الوقائع ، وتفضيلها على الأخبار المنقولة أو المروية ، ولكن هذا المبدأ كذلك لم يحم هيرودوت من الاعتماد على أخبار سدنة المعابد والمرشدين فى مصر ، على أن هذه المبادىء الثلاثة لها قيمة كبيرة فى البحوث التاريخية ، وهى الأسس التى بنى عليها المنهج التاريخى . ومما



النساء تلك ، اذ لا يمكن أن تخطف سيدة بغير رضاها ، فعندما خطف الأغارقة نساء الاسيويين لم يهتم هؤلاء بمثل هذه السفاسف ، الا أن الأغريق بسبب فتاة لاكيدايونية جمعوا جيشا فى عداد الحصى وغزوا به آسيا وخربوا مملكة بريام ، ومنذ ذلك الحين ينظر الاسيويون الى الأغارقة كأعدائهم اللدودين ... ويعتبر الفرس آسيا بشتى قبائلها البربرية التى تقيم فيها مواطنين واخوانا لهم ، ولكنهم ينظرون الى أوربا والأمة الاغريقية كبلاد وأمم منفصلة عنهم » .

فحرب طروادة أوجدت شعورا بالعداء نحو الأغارقة ، وكانت الحرب الفارسية النتيجة النهائية لهذا الشعور ، ولم تكن هذه النظرية من صنع هيرودوت ، وانما هى وجهة نظر الفرس ، وقد رواها هيرودوت مع التنصل من تبعة الموافقة عليها ، وهو يقول انها رواية الفرس ، ويعقب عليها بقوله « ومع ذلك فان (١) الفينيقيين يروون قصة أخرى عن خطف ايو تختلف عن رواية الفرس لها ، فهم ينكرون استخدامهم لأى عنف فى نقلها الى مصر ، ويقولون ان الفتاة نفسها كونت علاقة غرامية

(١) فى صفحة ١٦ من الترجمة العربية ورد خطأ «الاغارقة» بدلا من « الفينيقيين » وهو خطأ يبلبل ذهن القارىء ولعل الأستاذ أمين سلامه يصحح هذا الخطأ فى الطبعة القادمة .

اخذ على هيرودوت أنه كتب تاريخ حرب من الحروب العظيمة دون أن تكون عنده معلومات أولية عن أحوال الحرب ، ونظم الجيوش وقيادتها ، وكتابه برغم ذلك يقدم لنا صورة جلية عن الحضارة فى القرن السادس قبل الميلاد، وهو يعد من قبيل كتب التاريخ العام لانه يروى لنا أخبار الجزء الذى كان معروفا من الكرة الأرضية فى تلك الأزمنة على وجه التقريب ، وربما كان من حسن حظ الأدب انه لم يكن اكثر مما هو تدقيقا فى تحرى الأخبار ، فانه لو كان كذلك لحرمنا من الاستمتاع بقراءة تلك الاقاصيص الطليبة والنوادر المتعة والأساطير المسلية التى تضمنها كتابه وهو أوسع مجالا من كتاب توكوديدز الذى اقتصر على كتابة تاريخ الحرب البليبونيزية وفى الكتاب معلومات طريفة عن المجتمعات التى وصف عاداتها ومعتقداتها ، وهو لا يقتصر على تصوير حياة الملوك والملكات والأعيان بل يصور لذلك حياة مختلف الطبقات، وبرغم وطنيته فانه لم يكن بعيدا عن الانصاف ، ويحاول أن يوضح فى نزاهة وجهة نظر الطرفين المتنازعين ولا ينكر على الفرس البطولة والشهامة وان كان يأخذ عليهم تملقهم للحكام وخضوعهم الشديد لملوكهم وقادتهم .

ويقول بلاكنى فى التمهيد الذى صدر به الكتاب « اعظم ميزة لمؤلفنا وآخر ما يستحق انتباها خاصا بساطته وسهولته ، فسرده وافكاره ينسابان فى سلاسة طوال مؤلفه ، فتراه يكثر من استعمال الكلمات الشائعة والمألوفة ، ويتحاشى المحسنات اللفظية والصور البلاغية ، الأمر الذى استرعى انتباه جميع النقاد ونال اعجابهم ، وليس الانشاء فنا عند هيرودوت بل هو تدفق تلقائى للألفاظ والعبارات ، فلا يضفى رشاقة مصطنعة على أسلوبه ولا يتكلف العبارات البلاغية بل يكتب كما كان يقوده موضوعه ... ولهذا كان أسلوبه واضحا رقراقا ليس بمتكلف ولا جاف ولا يترك مجالا للشك فى معانيه » .

ولا يسع قارىء كتاب هيرودوت الا ان يوافق بلاكنى على وصفه لأسلوب هيرودوت ، وقد اختصر ايفانز نصوص ترجمة رولنسون الذى نقل الكتاب من اللغة اليونانية الى اللغة الانجليزية ، وحذف التذييلات والتعقيبات وعمل على ابراز الأساطير والقصص الواردة فى هذا الكتاب الشائق ، ومبلغ علمى ان كتاب هيرودوت قد ترجم منذ سنوات عدة وظهرت الترجمة فى مجلدين ، ولم يسعدنى الحظ بالاطلاع على تلك الترجمة القديمة ، ولكن المختصر الذى قام بترجمته الأستاذ أمين سلامه وراجعه الأستاذ الملاخ يقدم للقارىء خلاصة موجزة تحوى خير ما فيه من الأساطير والقصص والنوادر والأخبار فى ترجمة حديثة سهلة العبارة مستقيمة الأسلوب جديرة بالذيوع بين قراء العروبة وبخاصة متذوقى فن السرد التاريخى الشائق والعرض الجذاب للحوادث والأخبار .

علی أدهم

سطور من كتاب ...

« بينما كانت الثورة الاشتراكية تغلى فى مراحلها اعتلى العرش بعض ملوك خياليين ضعاف منهم « نفروكاوحور » و « نفر اركارع » فلم يدن لهم اهل الجنوب بالطاعة تماما ، وكان حكمهم صوريا فقط ، وازدادت الحروب والفتن الداخلية بين حكام الاقطاع كل يود أن يستقل فى حكم اقطاعه ، وبينما كانت البلاد فى هذه الحالة المحزنة ظهر حكام « هيراقليوپولبس » (اهناسية المدينة الآن بمصر الوسطى) ونادوا بأنفسهم ملوكا ، وانقطع الشمال عن الجنوب نهائيا ، وكان « خيتى » أقواهم وأعظمهم فتمكن من اعتلاء العرش واتخذ لنفسه لقب فرعون ولكن هؤلاء الملوك حكموا الجنوب الا مدينة منف ، حيث كان البيت الملكى الشرعى قائما فى الحكم . وظل ملوك هاتين الأسرتين يحكمون بضع مئات من السنين ، وقد وجدت لهم بعض آثار فى قفط والشلال الأول .

وفى اواخر عهدهم ظهرت أسرة من أمراء « هرمونتيسى » وهى (أرمنت الحالية) اغتصبوا حكم الجنوب منهم ، وبقى حكام اسيوط موالين لحكام « هيراقليوپوليس » . ولكن البلاد من جنوب أسيوط الى نهاية حدود مصر خضعت لحكام طيبة ، فكان ذلك بداية شأنها وظهور نجمها فى تاريخ مصر . »

مصر تحت ظلال الفراعنة

١

سلسلة
أعلام
العرب

ابن قتيبة

تأليف
د. عبد الحميد سند الجندى

الناشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة
عدد الصفحات ٤٣٠
ص ١٤×٢٠ سم
الثمن ٥

هذا الكتاب هو الحلقة الثانية والعشرون من سلسلة « أعلام العرب » التى تصدرها « المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر » فى «وزارة الثقافة والارشاد القومى».

وعنوان السلسلة ، وكثير مما ظهر من حلقاتها – مع رخص ثمنها – يدل على أغراض المؤسسة منها ، واهمها ان تيسر لقرائها بهذه التراجم معرفة نوابغنا العرب على اختلاف مواطنهم وعصورهم ومجالات نشاطهم الحيوية التى نبغوا فيها ، مع انصافهم وبيان مواضع التأسى بهم ، لاغراء القادرين بمتابعتهم وتكملة مساعيهم فيما نبغوا فيه ، وهذا الفضل من المؤسسة جدير منا بالشكر ، وان فضلها ليكون اكبر وشكرها أوجب حين تستوثق من ان حلقات السلسلة تؤدى اغراضها فى قوة وأمانة.

والكتاب الذى امامنا هو « ابن قتيبة : العالم الناقد الأديب » للدكتور عبد الحميد سند الجندى واغراض « المؤسسة » منه واضحة فى اشارتنا الى الأغراض العامةللسلسلة وغرض الدكتور – كما يدل عنوان كتابه ان يكون ترجمة لابن قتيبة « الرجل » ثم التعريف به « عالما وناقدا واديبا » ، لا سرد اخبار حياته وعلمه ونقده وادبه ولو مع التعقيب الوافى عليها، ومن هنا تختلف كتابة الترجمة – كما نفهمها – عن كتابة التاريخ بمفهومه القديم أو الحديث ، كما تختلف عن كتابة الترجمة بمفهومها القديم على طريقة ابن خلكان وابن الجوزى وياقوت وامثالهم من كتاب الطبقات بين الأسلاف .

واهم ما يعنى المترجم ان يضع يده على « شخصية » من يترجم له ، والمحور الذى تدور عليه حياته ، مهما تكن الصفات والأعمال التى يشارك فيها غيره ، كما يعنى ان يجلو هذه الشخصية من كل جوانب نشاطها فى حياتها واعمالها واقوالها وعلاقتها بمن حولها وما حولها ، وان يفسر مأتاها وتصرفاتها ووجهاتها وغاياتها حتى يزيل الغربة بين هذه الشخصية وقارئه ، وان لم يزل بينهما جانب الغرابة او جوانبها ان كان لهذه الشخصية حظ من الغرائب ، وعلى المترجم ان يسلط من نور

قريحته وحر شعوره على غرائبها ما يسلطه على مألوفاتها أو اشــد مـن ذلك حتى يبرزها ما استطاع ، لأن الأمانة العقلية والأخـلاقية تلزم المترجم بالتعريف لا التحريف ، وبالتجلية لا بالتحلية ، وصاحب البصـيرة المطبوعة على الترجمة أو التعريف أو التمييز أو الحـكم الفاصل ـ انما تعنيه الخصائص والمزايا التى تنفرد بها الشخصية التى امامه اكثر واشد مما تعنيه الحظوظ المشتركة بينهـا وبين غيرها بل لا تعنيه هذه الخطوط المشتركة الا بقدر ما تكمل الخصـائص وتسـندها وتعين على تحديدها وتوضيحها ، ثم تنصف الشخصيــة وتبرز مواضع الأسوة فيها .

فماذا فى كتاب دكتورنا الجندى من حظ « الترجمة » كما ارادت له المؤسسة ، وكما اراد هو حين اختار له عنوانه « ابن قتيبة العـالم الناقد الاديب » ، وكما يراد من كل ترجمة ولو كان موضوعها « حيوانا » أو « أثرا جامـدا » منفردا بخواصه ، ولم يكن انسانا ذا اختصاص بكل حياته واخلاقه وملكاته النفسية ، وبأعماله وهمومه ووراثاته وعصره وبيئته ؟ أو لم يكن انسانا ذا مزايا عالية بين أبناء عصره عالما وناقدا وأديبا ؟ .

لقد قرانا هذا الكتاب حين ظهر فى اكتوبر سنة ١٩٦٣ ، ثم اعدنا قراءته كلمة كلمة حين كلفنا الكتابة عنه منذ ايام فرأيناه كمعظم كتب « التراجم » المختصرة بل المطولة التى شاعت بيننا اليوم مئات بعد مئات وحظها من « الترجمة » قليل . ولكن هذا الكتاب انفـرد بأعاجيب فى تصديره والبابين الأول والسادس منه تفوق كل توقع ، واذا ضـم بعضها الى بعض تولدت منها أعاجيب جديدة تفوق كل سابقاتها منفردة .

ونعرض هنا تصدير الكتاب وأبوابه الستة بكل فصولها ، وحسبنا خلال العرض وبعده أن نجيب على بعض هذه الأسئلة التى أثرناها ، وبعض هذه الأعاجيب لا كلها لضيق المقـام . فدكتورنا يقص علينا فى تصدير كتابه قصة جهاده الطويل الجبار فى موضوعه ابن قتيبة ، وخلاصتهـا انه عندما كان طالبا قـرأ فى « البيان والتبيين » للجاحظ و « الكامل » للمبرد ، ثم قرأ فى « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، فظهر له فضل هذا الكتاب على سابقيه ، وفضل صاحبه على الجاحظ والمبرد ، فأعجب به ، ثم عرف من سمو أخلاق ابن قتيبة ودفاعه عن الاســلام والعـروبة ما زاده اعجـابا به وحبـا له حتى « الشغف الشـديد » به كما قال ، وهـذا الشغف حفزه الى قراءة كل ما كتب عن ابن قتيبة ، فلم يجد غير رسالة بالانجليزية للدكتور اسحاق موسى الحسينى نال بها الدكتورية من لندن ، وقد عدد دكتورنا ـ على عهـدته ـ من معـايب الرسـالة ما أقنعه بتفاهتها وعـدم جدواها فى انصاف محبوبه ابن قتيبة واظهار فضله ، فعكف « سبع سنين دأبا » على تأليف رسالة جامعية عن صاحبه نال بها الدكتورية من كلية الآداب سنة ١٩٥٤ ، وقد اعتمد فى تأليفها على مصادر شتى فى مقدمتها كتب ابن قتيبـة التى أفلتت من يد الضياع ، ثم قال « وجل هـذه الكتب مطبوع ، ولكنى ما كنت اكتفى بالنسخ المطبوعة فكنت ارجع الى النسخ المخطوطة حتى لا تفوتنى شاردة أغفلها الطابعون والناشرون » .

وبلغ من شغفه الشديد بصاحبه وامانته فى دراسته انه قرأ يوما فى فهرس مستشرق فرنسى ما يدل على أن لابن قتيبة كتابا فى النحو باحدى مكتبات باريس ، قال « فأخذتنى غمرة من الفرح، فشددت الرحال الى فرنسا صـيف ١٩٥٠ » وهناك وجد أن الكتاب ليس لابن قتيبة ، ثم اشار الى دراستين ظهرتا بعد رسالته : احداهما أصدرتها دار المعـارف ولم يذكر مؤلفهـا ، ونستأذنه فنقول ان مؤلفها هو زميله الدكتور محمد زغلول سلام ، والدراسة الثانية فى مقدمة «أدب الكاتب » الذى ذكر دكتورنا أن محققه الدكتور ثروت عكاشة .

وعقب دكتورنا بما يدل على ايمانه بعظمة نفسه هو وعظمة رسالته واستهانته بكل دراسة غيرها ، وذلك بلهجة نخطئها عند أكبر الجهابذة عبقرية ورسوخا فيما نبغوا فيـه ، اذ قال : « وانى أقرر ـ فى غير تحفظ أو احتياط ـ اصرارى على كل ما جاء بهذه الرسالة من آراء وأحكام ، لأنى لم أصدرها الا بعد دراسة مستأنية وتمحيص دقيق كفلالى الرشد والسداد » ، ثم أشار الى ان المؤسسة المصرية طلبت منه مشكورة وضع

كتاب عن ابن قتيبة فى سلسلتها « أعلام العرب » قال « فهرعت (كذا) الى الرسالة ، انشد فيها بغيتى ، بيد أنى الفيتها بحثا جامعيا عميقا ، قد يجد القارىء العام شيئا من العسر فى فهمه وادراكه ، فتناولتها بالتغيير والتبديل والحذف ، بحيث توائم مستوى هذا القارىء ، فيجد فيها زادا سائغا ممتعا » .

ثم ختم التصدير بما يكشف غرضه من كتابه ـ وهو كأبعد غرض تبلغه ترجمة لأعظم المترجمين ـ فقال « وارجو ان اكون قد وفقت فى تقديم صورة مجلوة للرجل تكشف عن غزارة عمله واسرار عبقريته ، وبالغ أثره فى العلم والدين والأدب جميعا » .

هذه هى الفرص الضخمة التى اتيحت لدكتورنا فى جهاده مع صاحبه ومحبوبه ابن قتيبة ، ثم المشقات التى عاناها فى دراسته وجهوده فى التغلب عليها ، وكل ذلك دليل على ما وراءه من شمائل دكتورنا : كثقته بنفسه وشغفه الشديد بابن قتيبة موضوعه ، واخلاصه فى بحثه وصبره فى دأب على محنته ، وهى خصال جديرة بالاكبار والاعجاب لذاتها ، فاعتقادنا انه لا أمل لمحب فى الوصول الى محبوبه بدون هذه الخصال سواء أكان موضوع حبه انسانا أو دراسة أو تجارة أو صناعة ... الا ان يقضى الله بالوصول دون سعى المحب .

كما اننا نعتقد انه لا أمل فى ترجمة انسان بل فهمه الا بمعاطفته ، فالمعاطفة أكبر عون على الفهم والحكم ما لم تزع العقل أو الضمير ـ وقد كان من حظ دكتورنا من هذه المعاطفة والجهد كبيرا ، وان كانت معرفته وجهده فوق توفيقه .

والآن نعرض أبواب الكتاب بعد ان عرفنا قصة استخلاصه من رسالة جامعية استبعد ما فيها من عمق ، اشفاقا على القارىء العام ، وسنعرف من عرض ابواب الكتاب مقدار ما أوفى دكتورنا من وعوده الكثيرة الضخمة التى ساقها فى التصدير ، عقب ان طار بنفسه وبرسالته وكتابه الى ذروة تتعب أعناق ناظريه .

ابواب الكتاب ستة ، تجرى على المنهج الجامعى المأثور : مقدمة فى عصر المترجم ثم اقسام توضح حياته وجوانب نشاطه ـ لكل جانب قسم منها ، ولكن للدكتور فى هذا التقسيم تجديدات عجيبة سنشير اليها حين نشير الى بعض عجائب الكتاب ، وان كان الكتاب فى منهجه وعلاج المؤلف لموضوعاته كأكثر كتب التراجم عندنا اليوم فى قلة غنائها من حيث هى تراجم ، وهو مثلها قريب من « الأدلة » التى تصدرها « ادارت السياحة » أو « دور النشر » مع اسهاب مفرط .

والباب الأول مقدمة للبحث وموضوعه « عصر ابن قتيبة » وهكذا عنونا ، وهو المنتظر منه ، ولكن دكتورنا يفاجئنا فى هذا الباب التالى للتصدير بعدة عجائب ، فالباب يحتوى تمهيدا ثم ثلاثة فصول أولها فى الحالة السياسية لعصر ابن قتيبة والثانى فى الحالة الاجتماعية والثالث فى الحالة العلمية والعقلية .

وقد عاش ابن قتيبة فى القرن الهجرى الثالث اذ ولد سنة ٢١٣ هـ ، وعاش قرابة ستين عاما . واذن ما موضوع التمهيد الذى كاد يستغرق نصف الباب ؟ موضوعه العجيب هو العصر السابق لعصر ابن قتيبة وهو يشمل القرن الهجرى الثانى ولا سيما الفترة التى تبدأ بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ ، ثم يمتد هذا العصر الى نهاية حكم الواثق سنة ٢٣٢ هـ ، وهذا عصر نفوذ ملوك العباسيين ، فما حاجة موضوعنا الى البحث المستفيض فى العصر السابق لابن قتيبة ثم تناول هذا العصر السابق من جميع نواحيه السياسية والاجتماعية والعلمية فى التمهيد الذى استغرق اربعا وثلاثين صفحة ، وكان يعدل فى طوله الفصول الثلاثة فى عصر ابن قتيبة ؟ ما حاجة الموضوع لذلك ولم يكن الرجل قد ولد ؟ ثم ما حاجة القارىء المتخصص الى هذه الفصول فضلا عن القارىء العام الذى قصده الدكتور بكتابه حين استخلصه له من رسالته الجامعية أشفاقا عليه مما فيها من عمق جامعى ؟ يجيبنا الدكتور فى أول التمهيد بأن الدافع الى هذه الاضافة أن عصر ابن قتيبة لا يفهم بغير تناول

العصر السابق له ، ثم الاستفاضة فيه من جميع نواحيه ، وهذه هى العلة او التعلة التى يذكرها الدكتور ! ولو أطرد قياسه لوجب أن يعود الى كل العصور السابقة حتى ظهور أبينا آدم وامنا حواء فى الجنة ثم نزولهما الىالأرض، لأن اى عصر هو وليد كل العصور التى سبقته وليس وليد العصر السابق مباشرة له .

أفلم يكن تلخيص صلات العصر السابق لعصر ابن قتيبة مغنيا عن الافاضة ؟ نعم ، وقد عاد الدكتور فى الفصول الثلاثة عن عصر ابن قتيبة ، فلخص ذلك بعد أن فصله فى التمهيد ، فما الحاجة الى هذا التكرار ؟ أنقول ان المؤلف لم يكن قابضا على أزمة موضوعه ؟ أم نقول أنه تعب فى جمع معلومات كثيرة عز عليه أن يكتفى منها بحاجته ، فحشرها كلها فى رسالته ثم عز عليه أن يتخلص منها جميعا حين اختصر من الرسالة كتابه فاودعه كثيرا منها وان كان الموضوع غير محتاج اليها ؟ وكان كمن يطبخ طعاما اكثر مما يشبعه ، فلما شبع منه عز عليه ان يخسره فابتلعه كله دون مبالاة بارهاق نفسه واقلاق محبيه ، أو كما يقول فلاحونا « وجع البطن خير من رمى الطبيخ » — لقد كان الأولى بالدكتور ان يكتفى فى موضوعه بالشبع ولو القى بقية الطبخة وفضولها الى التراب ، وعذره هنا بخاصة انه يكتب للقارىء العام الذى لابد أن يحس بما غصه به الدكتور حتى ارهق عقله ، وان كان العقل بحمد الله أشد مرونة ، واحتمالا من المعدة . وهذا العيب يطرد فى كل فصل من فصول الكتاب ، وكله مما يغص ويتخم القارىء المتخصص فضلا عن القارىء العام . وهذه الزوائد هى ما ظنه دكتورنا عمقا جامعيا ، فتفضل برحمة القارىء العام من اقله ورزاه أكثره ، ولكن ما أبعد الفرق بين عمق البحث وحشد الفضول والتشقيقات والخبط فى المتاهات لغير غرض غير حب الرياضة فى السير ثم اظهارا لدليل تعالمه على مصاحبيه.

وننتقل الى الفصول الثلاثة الباقية وهى فى عصر ابن قتيبة ، فنفاجأ بطامة اعجب واكبر، فابن قتيبة كان معاصرا لابن الرومى ، ومواطنا له بعض المواطنة ، فانتهز الدكتور هذه الفرصة وأغار على مقدمة كتاب « ابن الرومى » للعقاد وموضوعها عصر ابن الرومى فنقلها الى كتابه فى هذه الفصول التى موضوعها عصر ابن قتيبة، حتى عناوين الفصول اخذها الى جانب محتوياتها ، ماعدا زيادات تافهة تشتت وحدة الموضوع ولا تزيده الا اضطرابا ، وقد بلغ من سذاجة هذه الغارة أنها تتبعت مقدمة العقاد فكرة فكرة ورايا رأيا وجملة جملة ، والدكتور يكتفى فى غارته بالتمويه الساذج اما بالتخليص لأقوال العقاد أو تغيير مواضع عباراتها ، وأحيانا يضع مرادفات لكلماته كلمة كلمة اذا اسعفتهالمترادفات كما يفهم هو ، وكثيرا ما ينقل نص كلمات العقاد حين يعزه المرادف ، وما أكثر ما عزه .

نعم ان الدكتور اشار الى انه اعتمد فى هذه الفصول على مصادر شتى منها كتاب « ابن الرومى » للعقاد ، ولكن الاستنارة بمصدر شىء يختلف عند الفاهمين عن اخذه اخذا لما ، مع متابعته جزءا فجزءا وجملة جملة ، وكلمة كلمة، ومن العجائب أن الدكتور لا ينقل نصا عن غير العقاد حتى يشير الى مصدره ، ويكتفى بأن يذكر مرة واحدة كتاب العقاد فى هامش أول صفحة فى الفصل الأول مع انه ينقل عنه فى كل صفحة ، كما أن من العجائب أن العقاد حين يتصرف فى نقل نص عن « ادب الكاتب » لابن قتيبة يتابعه الدكتور فى أخذه كما تصرف فيه العقاد ولا يرجع الى أدب الكاتب مباشرة ، مع ان موضوع الكتاب هو ابن قتيبة ، فهل كان الدكتور جادا حين أشار فى تصدير كتابه الى انه لم يكن يكتفى فى مراجعة كتب ابن قتيبة بنسخها المطبوعة بل يرجع الى مخطوطاتها « حتى لا تفوته شاردة اغفلها الطابعون أو الناشرون » ؟ لقد رجعنا الى نسختين فى مكتبتنا من « أدب الكاتب » : احداهما صدرت قبل كتاب العقاد والأخرى بعده ، فوجدنا العقاد يتصرف فى نقله عنه ، ثم يأتى الدكتور فلا يفطن الى هذا التصرف فينقل عن العقاد وحده ، وحتى بعض الأخطاء المطبعية فى كتاب العقاد ينقلها دكتورنا كما هى الى كتابه .

ومن أعاجيب الدكتور فى السخرية بنا ، أو بالقارىء العام « المسكين » انه يطل فى معظم صفحاته ليذكرنا بنفسه ، فيقول مثلا «وارى»

أو « ورأيي » أو « وأرجح » أو « واعتقـــد » ونعود الى كتاب العقاد فاذا كل ذلك آراء العقاد وترجيحاته ومعتقداته ، ومن سخرياته انه ينقل عن العقاد ثم يشير الى مصادر أخرى فى الهامش لما نقله ، وليس فى هذه النقول غير ماق كتـاب العقاد .

اما الباب الثانى فموضوعه « ســـيرة ابن قتيبة » وفيه ثلاثة فصول : أولهـــا فى مولد ابن قتيبة وحياته وثانيها فى خلقـه ، وثالثها فى صلته بكبار رجال الدولة ، ورابعها فى شيوخه، والعجيب اننا لا نظفر فى أى فصل منها الا بأخبار مسرودة وتعليقات سطحية عليها ، دون فحص ولا ربط ولا استنباط يكشف شخصية ابن قتيبة وصلاته بأحداث عصره ورجاله ، ولا شـك أن الأخبار والأعمال والأقوال عون على الترجمة بل هى مادتها الوحيدة ولكنهما بعد ذلك شيئان مختلفان كما يختلف البنيان فى هندسة معينة لاداء اغراض معينة عن المواد التى بنى منهـــا . والأخبار وتعليقاتها هنا ليس لها «نظم هادف» بل تتوالى بحكم التداعى المطلق أحيـــانا ، أو لمشابهات وهمية أو سطحيـــة ، وهى دائمـــا متفككة ، وليس المهم هنا ذكر أخبـــار ما لقى ابن قتيبة ومن لقى ، بل لابد من بيان التفاعل بينه وبين ذلك مع ربط ذلك بشخصيته لفهم ما أخذ وما أعطى ، وما ترك مع تفســـير ذلك بشخصيته وتفسيرها به .

اما الباب الثالث فموضوعه آثار ابن قتيبة وفيه فصلان أحدهما فى ابن قتيبة المؤلف ، وثانيهما فى كتبه ، وفى الفصل الأول عرض ساذج مفكك لما قاله القدماء فى الموضوعات التى الف فيها ابن قتيبة ، وفضل الدكتور فى الباب الثانى أنه عرض كتب ابن قتيبة مرتبـــة على حسب تاريخ تأليفهـــا كمـــا ظهر له ذلك من البحث خلالها ، ولكنــــه لم يبين محتوياتها مرتبطـة بدلائلها على مقدرة صاحبها التأليفيـــة وملكاته ومشاغل قلبه وذهنه مع أن الرجـــل وجوانب نبوغه هى موضوع الكتاب ، وأما كتبه وغيرها مما يتصل به فهى وسائل للتعريف بشخصه ، ولهذا جاء الفصل الثانى أشبه بما يدونه امنـاء المكتبات العامة فى فهارسهـــا للتعريف بالكتب ومحتوياتها ونسخها المطبوعة والمخطوطة وأماكنها وارقامها هناك ، وأسماء مؤلفيها وطابعيهـــا ومحققيها والمعلقين عليها بالشرح أو الاختصار او التكملة .

والباب الرابع موضوعه ثقافة ابن قتيبـة وفيه ستة فصول : أولها تمثيل ابن قتيبـــة لثقافة عصره ، وثانيها فى موقفه من اهل الراى (وهم الفقهاء الذين كانوا يعولون فى الأحـــكام الشرعية على الراى او العقل اكثر من اعتمادهم على الحديث لارتيابهم فى كثير منه ، وكان يقابلهم أهل الحديث وهم الفقهاء الذين كانوا يعولون فى الأحكام الشرعية على الحديث ثقـــة برواته) والفصل الثالث فى موقف ابن قتيبة من اهـــل الكلام (وأهم من عنى بهم الدكتور هنـــا اهـــل الاعتزال) ، وقد اكتفى باشارات مبتسرة فجـــة الى غيرهم من الفـــــرق كالروافض والمشبهـــة والجهيمة ، مع أن لابن قتيبة كتابا خاصـــا فى الرد على الفرقتين الأخيرتين . وموضوع الفصل الرابع موقف ابن قتيبة من مشـــكلة « خلق القرآن » مع أن هذه المقـــالة لبعض المعتزلة ، وهو قد تعرض لآرائهم فى الفصل الســـابق ، وذكر فيه ما يعد تاريخا لحركة المعتزلة كلهـــا منذ نشأت قبل عصر ابن قتيبة وخلال عصره ، ولا حاجة هنا لهذا ولا ذاك كله لأن الموضوع هو ابن قتيبة ، ولكنها الرغبة فى الاطالة بالتشقيق والاستطراد على طريقة تداعى المعانى المطلق ، وأما الفصل الرابع فموضوعه مذهب ابن قتيبة (ويقصد به الدكتور مذهبه الفقهى فى الشريعة ومذهبه الكلامى فى العقيدة) ، ونخرج من هذا الفصل الطويل فلا نعرف : امجتهدا كان الرجل فى الشريعة أم مقلدا لمذهب معين أم مختارا بين المذاهب والآراء الشرعية ؟ كمـــا لا نعرف من مذهبه الكلامى الا انه كان من اهل الحديث ، ولكن ما مذهب أهل الحديث بالتحديد يومئذ؟ وماذا أخذ الرجل أو ترك منه أو زاد فيـــه ؟

ولماذا ؟ وما دلالته على طاقته الذهنية وأسلوب تفكيره ؟ كل هذا لا جواب عليه ، وأما الفصل السادس فموضوعه ابن قتيبة المحدث ، وفيه يبين الدكتور ان صاحبه كان على حظ من رواية الحديث وشرح غريبه وتأويل مختلفه مع اشارات الى آرائه فى رجاله والرد على اعدائه ، فأما ما حدود حظه من ذلك وما ميزاته للثقة بالحديث وبرجاله ، ثم ما دلالة ذلك على شخصيته وملكاته ، وما مقامه بين معاصريه من كبار المحدثين — فكل ذلك بلا جواب .

والباب الخامس هو أطول أبواب الكتاب وموضوعه ادب ابن قتيبة ، وفيه ستة فصول عرضها الدكتور بأسلوب طلاب المدارس الثانوية فى اقسامها وعلاجها ومصطلحاتها ، فالفصل الأول فى خصائص أدب ابن قتيبة ، والثانى فى ادبه الانشائى ، والثالث فى أدبه الوصفى ، والرابع فيما له من رواية واخبار ، والخامس فى أسلوبه .

والباب السادس والأخير موضوعه «معاصرو ابن قتيبة» ولا صلة لذلك كله بموضوع الكتاب ، ولا فائدة له الا تضخيم حجمه واظهار التعالم به ، وهؤلاء المعاصرون الذين اختارهم الدكتور ثلاثة : وقد أفرد لكل منهم بابا خاصا به ، دون أن يبين الصلات والفروق بين كل منهم وابن قتيبة بيانا يزيدنا فهما لشخصية أبن قتيبة وملكاته ، ويلاحظ ان الجاحظ على الأقل ليس معاصرا لابن قتيبة بل هو من العصر السابق له ، كما أن السنين دلالة على حدود العصر ، ولكنها ليست هى العصر ، فلا معاصرة بين الرجلين بهذا المعنى أو ذاك .

والكتاب الى هذا يحوى من الأخطاء عشرات وعشرات وعشرات ، وكثير منها يهز الكتاب من قواعده ، ويأتى على ارسخها ، ولا يتسع المقام لسردها فنكتفى منها بمثل واحد . فقد فرض الدكتور فى أول صحفة من التصدير أن ابن قتيبة كان متضلعا من اللغة الفارسية ، وما زال هذا الفرض المحض يقوى عنده كلما تابع كتابته ، وقد اخذ به فى كل ابواب الكتاب ، متخذا اياه أساسا عريضا من اكبر اسسه فى تقدير صاحبه والكشف به عن اسرار حياته وثقافته وتواليفه ، ولم يعتمد فى ذلك على دليل نقلى ، ولا دليل عقلى حاسم او راجح — كما ينبغى فى مثل هذه الأحوال — حتى يحتمل فرضه الصرح الباذخ الذى اقيم عليه ، وكل ما ذكره الدكتور ان اجداد الرجل — لا ابواه مباشرة — من الفرس ، وهذا صحيح ، وان الرجل ذكر فى تواليفه كلمات فارسية وفسرها ، وهذا صحيح ايضا ، ولكن لا هذا ولا ذاك يثبتان أن الرجل كان له ادنى المام بالفارسية فضلا عن التضلع فيها وفى كتبها وآدابها كما ادعى له ، وما على الدكتور الا ان ينزل الى اى شارع ويلقى اى خادم امى احتك بضعة شهور ببيت يتكلم اهله لغة اجنبية ولو فى غير بلدهم ، ليرى أن هذا الخادم الأمى يعرف من كلمات هذه اللغة وجملها ودلالتها أضعاف ما ذكر هو أن ابن قتيبة كان يعرفه ويفسره من الفارسية ، وبنى على ذلك أن الرجل كان على علم واف بها وبمؤلفاتها وآدابها .

هذا الى أن الكتاب متخم بما لا صلة له بابن قتيبة ، فلو نفض من فضوله لما بقى منه غير خمسه ، ولو اقتصر من الخمس على ما تحتاج اليه الترجمة البصيرة لكفى نصف هذا الخمس ، ولكنه بهذا الخمس وحده يمكن أن يعد من « الأدلة » مع التساهل والاغضاء الكثير ، ولهذا كان أجدر به أن يسمى «دليل ابن قتيبة وموضوعات حوله » أو نحو هذه الزيادة ، لان الكتاب مفيد للقارىء المتخصص والعام فى ابن قتيبة وموضوعات حوله واذا عرفنا للدكتور وكتابه هذا الفضل الى جانب اخلاصه وجهده « سبع سنين داريا » واكثر دراسة موضوعه فقد وفيناه كل حقه من الانصاف والتقدير ، وقابلنا فضله هذا بما يستحق من شكر على جهوده الميمونة .

ونقول أخيرا : ان ترجمة ابن قتيبة فى حاجة الى كاتب فالى فرصة أخرى .

محمد خليفة التونسى

التجارة الدولية



تأليف : الدكتور سعيد النجار
الناشر : دار النهضة المصرية
طبعة ثانية ٤١٥ صفحة ١٧×٢٤ سم

ما من شك اننا نوافق الدكتور **سعيد النجار** اذ يقول فى مقدمة كتابه « **التجارة الدولية** » ان هذا العمل العلمى هو « محاولة الجمع بين بساطة العرض التى تتجلى فى كتب البداية ، ودقة التحليل الذى تميز كتب النهاية » . ان النظرة الشائعة فى بعض الأوساط هى أن الكتب الجامعية وبخاصة فى الموضوعات المتصلة بالنظرية الاقتصادية ، قد تدق على ذهن القارىء العادى بسبب طابعها الأكاديمى الذى لابد منه . والكتاب الذى نعرضه هنا يلتزم المنهج العلمى تماما ، ولكن برغم هذا وبرغم ما يتضمن من معادلات وجداول وارقام ، فان هذا كله يقدم فى عبارة واضحة كل الوضوح ، بل ان الأمثلة التى يضربها مستمدة من واقع الحياة المصرية فى الغالب ، ومن هنا نراه كتابا لا يلقى على القارىء عنتا فى غير مبرر ، وهى ميزة لها قدرها . والناحية الأخرى التى تلفت النظر فى كتاب « **التجارة الدولية** » انه لا يقف عند حد « التجريد » وانما يربط بين عالم النظرية وعالم الواقع ، ومن هنا أيضا تبدو اهميته من وجهة نظر المشتغلين بالسياسات الاقتصادية بوجه عام، مما سوف نشير اليه فى الموضع المناسب .

يبدأ المؤلف حديثه أنه بالرغم من قدم التجارة الا انها تأثرت فى العصور الحديثة بعوامل رئيسية ثلاثة هى اكتشاف الدنيا الجديدة وظهور القومية الحديثة وقيام الثورة الصناعية ، مما ترتب عليه ان أصبح العالم متشابكا وصارت الشعوب يعتمد بعضها على بعض فى اشباع جزء كبير من حاجياتها . وكان طبيعيا أن تمر السياسة التجارية بتطورات معينة ، فخلال القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر سيطر التجاريون Mercantilists ؟ من دعادة أخضاع التجارة الدوليةلقيود معينة ، ولكن يفضل دافيد هيوم فى انجلترا والطبيعيين (الفزيوكرات) بفرنسا ، ما لبثت حرية التجارة أن أصبحت القاعدة أو من « مقدسات النظرية التقليدية » على حد تعبير المؤلف . ولكن بدأت الثغرات فى حصن حرية التجارة وكان البادى فون ليست الالمانى ، واخذت ظاهرة تقييد التجارة تنتشر لسببأو لآخر وبخاصة بعد الأزمة العالمية الكبرى فى أواخر العشرينات من القرن الحالى .

واذ يبين لنا المؤلف دور التجارة الدولية من حيث تحقيق الرفاهة الاقتصادية واستغلال الموارد ، يتناول ناحية يسىء الكثيرون فهمها ، ونقصد بها عبارة **«الاكتفاء الذاتى»** ، فيقول انه اذا كان الفرض منها الاستغناء عن الفير فان هذا هدف مستحيل ، كما انه ينطوى على خسارة اقتصادية اذ يتجاهل المزايا المترتبة على تقسيم العمل بين البلاد ؛ واذا عمدت اليه البلاد الأخرى اضر بالتجارة الدولية وقلل من حجمها . ولكن هناك معانى أخرى للاكتفاء الذاتىكأن يكون الفرض منه الاعتماد على انتاج سلع ذات أهمية

استراتيجية ، أو تقليل الاعتماد على الخارج فى المواد الغذائية ، او تقليل الاعتماد على السلع الصناعية الاستهلاكية وهذا الأمر الأخير معناه التصنيع . وحتى الاكتفاء الجزئى ينبغى أن يكون قائما على الاعتبارات الاقتصادية السليمة ، كما يتضح من سياق الحديث فى الكتاب بجملته .

والسؤال الذى يقفز الى الذهن هو : لماذا تقوم التجارة بين بلدين مثلا ؟ الجواب السهل انها تقوم حين يكون هناك فرق بين ثمن السلعة فى بلد التصدير وثمنها فى بلد الاستيراد ؛ ولكن هذا يتطلب ايضا أن يكون الفرق أكبر من نفقة نقل السلعة . غير ان فروق الأثمان ما هى الا مظهر لفروق اكثر عمقا ، بمعنى أن العبرة اساسا هى بالميزة النسبية او النفقة النسبية ، ولذلك مثلا من صالح مصر أن تترك انتاج القمح وتتخصص فى انتاج سلعة اخرى تملك فيها هذه الميزة النسبية . **وهناك من يفترضون على استيراد سلع معينة ويطالبون بانتاجها محليا ، وهذا ما يعتبره المؤلف وهما يجب تبديده لان الواردات نوع من الانتاج** غير المباشر . **لنفرض أن الفدان فى مصر باستخدام ثلاثة عمال ينتج ٥ قناطير من القطن أو ٧ ارادب من القمح . ولكن مصلحتها ان تصدر ٥ قناطير قطن وتحصل مقابلها على ١٥ اردب قمح (من بلد له فى هذه الناحية خبرة) ففى هذه الحالة كانها استطاعت أن تجعل الفدان ينتج ١٥ اردبا من القمح .**

وهنا ملاحظة لها أهميتها بصدد نظرية النفقات النسبية وهى أنه اذا صحت فلابد من التسليم بمبدأ حرية التجارة . غير أن هناك اعتبارات تقيد من نطاق نظرية النفقات النسبية (وبالتالى حرية التجارة) فهى تفترض كمية معينة من الموارد ، وتنظر الى التوزيع الأمثل للموارد من وجهة نظر البلاد المتجرة جميعا ، وتفترض سهولة تنقل عناصر الانتاج فى داخل كل بلد ، كما تفترض أخيرا التشغيل الكامل والمنافسة الكاملة .

واضح اذن أن التجارة بين بلدين أحدهما يصدر السلعة التى له فيها خبرة نسبية ويستورد السلعة التى لا يملك فيها مثل هذه الميزة ، تعود بالنفع على كليهما ، ولكن مقدار النفع يتوقف على معدل التبادل الدولى . وعندما يناقش المؤلف هذا الموضوع يعرض لناحية لها أهميتها اليوم حيث تطالب الدول *النامية بتثبيت أثمان المواد الأولية* مما تتخصص فى انتاجه . هذه البلاد تتكون صادراتها أساسا من السلع الزراعية والمواد الأولية ، كما أن الطلب عليها قليل المرونة ، ولذلك ففى فترات الانكماش تنخفض أثمانها بنسبة أكبر من الانخفاض فى أثمان السلع الصناعية، لأن انكماش الطلب عليها يترجم مباشرة الى انخفاض فى الأثمان دون أن تتأثر الكمية المعروضة تأثيرا كبيرا . غير أن المؤلف يتحدث عن الظاهرة وآثارها فى فترات الكساد أو الأزمات **وكنا نود أن يعالج موضوع العلاقة بين طائفتى الدول النامية والغنية على ضوء نظريته فى التقلبات التى تطرأ على أثمان منتجات الطائفة الأولى من الدول ، بحيث يدلى برأى فى السياسة التى ينبغى اتباعها وكيفية تنفيذها وامكانية ذلك ، خاصة بعد أن كثر الحديث عنها خارجا عن حالات الرواج أو الانكماش الدورية .**

لكن ما المقصود بالميزات النسبية ؟ يمكن تفسيرها بعاملين أساسيين أحدهما امكانيات البلاد من الموارد الطبيعية ، رءوس الأموال ، والخبرة الفنية ، القدرات التنظيمية . وثانيهما احتياجات السلع الى عناصر الانتاج المختلفة ؛ فواحدة تتطلب بيئة طبيعية خاصة ، وثانية تحتاج الى كميات كبيرة من رءوس الأموال وكميات قليلة من العمل ، وثالثة تعتمد بصفة

اساسية على وجود نوع خاص من العمل الفنى (صناعة الساعات فى سويسرا) . ولنضرب مثلا من سلع لا تستند بصفة أساسية الى توافر امكانيات طبيعية خاصة ، ومن ذلك تمتع الولايات المتحدة او انجلترا او المانيا بميزة نسبية فى صناعات السيارات والقطارات ومنتجات الحديد والصلب . أن انتاج هذه السلع يتطلب كميات ضخمة من رءوس الأموال كما يتطلب قدرة خاصة على التنظيم حيث انها من السلع التى تستفيد بمزايا الانتاج الكبير ؛ فلا يمكن انتاجها بنفقة متخصصة الا اذا كان حجم المشروع من الضخامة بحيث يسمح بأكبر مجال لتقسيم العمل واستخدام الآلات ذوات الطاقة الانتاجية الكبيرة .



ويخصص المؤلف الفصل السادس من كتابه لما دعاه « اقتصاديات الموقع » باعتبار الموقع من القوى التى تحكم التخصص الدولى ، وهذا يسوقه الى مناقشة نقطة لها أهميتها بالنسبة الى البلاد النامية وهى بصدد الأخذ بسياسة التصنيع .

هناك من يرى اختيار الصناعات التى تعتمد على مادة أولية موجودة فى البلد ، بينما يقرر البعض الآخر ان الصناعات تدور وجودا وعدما مع الفحم والحديد . لعل أول ما يلاحظ أن هناك عددا من السلع الصناعية تحتل فيها المادة الأولية نسبة تافهة من القيمة النهائية ، وسواء أكانت المادة الأولية موجودة فى البلد أو فى بلد بعيد فان ذلك لا يؤثر فى تقرير الميزة النسبية لأن هذه الأخيرة تتوقف على الوفرة أو الندرة النسبية لعناصر الانتاج . اما اذا كانت السلعة تتطلب كميات كبيرة من المادة الأولية فان الميزة الناجمة من وجود المادة الأولية محليا تتوقف على طبيعة العملية الانتاجية ، فاذا كانت المادة تفقد وزنها أثناء العملية الانتاجية فقد يكون هذا كافيا لتقرير ميزة نسبية حاسمة على البلاد التى لا تتوافر فيها المادة ، اما اذا كانت من النوع الذى يحتفظ بوزنه أثناء العملية الانتاجية فوجود المادة محليا فى بلد لا يعتبر قاطعا فى تقرير ميزة نسبية له . وفى حالة السلع التى تتطلب كميات كبيرة من مادة أولية يزيد وزنها أو حجمها أثناء العملية الانتاجية فان العبرة فى توطن الصناعة هى بموقع السوق لا بموقع المادة الأولية . وفى حالة الحديد أيضا فان وجوده يعطى ميزة نسبية فى مرحلة واحدة فقط هى مرحلة انتاج الحديد الخام ، أما فى المراحل التالية مثل الصلب أو المنتجات الحديدية والصلبية ، فان الميزة النسبية ترجع الى الوفرة او الندرة النسبية لعناصر الانتاج الأصلية .

ويعرف المؤلف ميزان المدفوعات بأنه بيان المعاملات التى تتم بين بلد والعالم الخارجى خلال مدة سنة ، وفى هذه المعاملات تجب التفرقة بين طوائف ثلاث : التجارة المتطورة (صادرات وواردات السلع) ، التجارة غير المتطورة (صادرات وواردات الخدمات) ، التحويلات الرأسمالية بما فى ذلك انتقال الذهب (تصدير أو استيراد رءوس الأموال) . ولا يمكن تعريف التوازن فى ميزان المدفوعات بالرجوع الى كل عناصره ، وانما بالرجوع الى بعض العناصر دون البعض الآخر ، فمن الممكن تعريفه بالرجوع الى المعاملات المستقلة ، أو تعريفه بالرجوع الى المعاملات الجارية فقط ، والمسألة تتوقف على ظروف البلد والى أى حد يمكن التعويل على التحويلات الرأسمالية



المستقلة . وأيا كانت طريقة الرجوع فانه يشترط الا يكون التوازن قد تحقق عن طريق الرقابة المباشرة على التجارة الخارجية أو عن طريق اتباع سياسة داخلية انكماشية ، أو عن طريق تخفيض مستمر فى قيمة العملة الوطنية .



الا أننا كنا نتوقع من المؤلف الا يقف عند هذا الحد وانما يتناول ما يحدث أو ما ينبغى أن يحدث فى البلاد النامية من جهة ، وفى البلاد الاشتراكية بنوع خاص . فالدولة حين تشرف على التجارة الخارجية مثلا لا تفعل هذا كوسيلة لتحقيق التوازن فى ميزان المدفوعات فحسب ، وانما هى تطبق فلسفة اقتصادية واجتماعية من جهة ، كما أن هذه الرقابة – أيا كانت صورتها – ذات ارتباط وثيق بعملية التنمية ؛ وانا لنرجو أن يتناول المؤلف هذه الناحية الهامة فى طبعة قادمة .

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى معالجةموضوع « التعريفة الجمركية » بوصفها من أقدم القيود على التجارة الخارجية وأكثرها شيوعا . وكان طبيعيا أن يعرض لفكرة الحماية الجمركية بالنسبة الى الصناعة الوليدة أو الناشئة ، ومن رأيه **أن الحماية هنا حماية تمنح لبعض السلع الصناعية حيث لا يتمتع البلد بميزة نسبية فيها ، وثانيا أنها حماية مؤقتة ، فالمفروض أن التخلف النسبى يرجع الى أسباب عرضية يمكن أن تزول خلال فترة الحماية ، وهو ما يستفاد من وصف الصناعة بأنها وليدة . فالوليد ينمو بعد مدة معينة ، ولا يمكن أن يبقى وليدا الى الأبد .** هذا القيد الأخير يلقى ضوءا على صعوبات فى مجال التطبيق ، فقد تستمرىء صناعة ما الحماية ولا تعمل على رفع مستوى كفاءتها الانتاجية ، وقلما تستطيع الدولة فى هذه الحالة سحب الحماية منها والا عرضت عمالا ورءوس أموال للبطالة ، ولذلك يتعين الحذر فى منح الحرية الجمركية ابتداء ، فلا تعطى الا حيثما تتوافر أسباب قوية تدعو السلطات الى الاعتقاد بأن تخلف الصناعة يرجع الى اعتبارات مؤقتة لا تلبث أن تزول .

وأحسن المؤلف بيان المزايا الناجمة عن ازالة الحواجز الجمركية بين بلدين (مصر وسوريا مثلا) . غير أن ازالتها مع بقاء النظام الجمركى لكل منهما مع العالم الخارجى ، معناه انشاء ما يدعى « النطاق الجمركى » وهذا لا يمكن أن يدوم مدة طويلة ومن ثم فانه يتحول فى النهاية الى « اتحاد جمركى » تتلاشى فيه الحواجز الجمركية بين البلدين مع توحيد النظام الجمركى مع العالم الخارجى . ويختلف الاتحاد الجمركى عن الوحدة الاقتصادية فى أن الأول يعنى حرية تبادل السلع ، أما الوحدة فهى تعنى – فوق ذلك – حرية انتقال عناصر الانتاج . وفى ظل الوحدة الاقتصادية يصل البلدان الى ناتج اكبر مما يستطيعان الوصول اليه فى ظل الاتحاد الجمركى . وعلى كل فان حرية تبادل السلع ، أو حرية انتقال عناصر الانتاج ، تتطلب قدرا من التنسيق النقدى . **وفى اعتقادنا أن هذا الجزء (ص ٣٠٢ – ٣١٣) جدير بالتمعن العميق من جانب المعنيين بشئون الوحدة الاقتصادية أو السوق المشتركة أو التنسيق الاقتصادى ، فى المجال العربى ، اذ فيه نظرات نفاذة وتوجيهات ومقترحات عملية واضحة .**

ويفرد المؤلف الفصل الحادى عشر لموضوع « الرقابة المباشرة على التجارة الدولية » ، ويقصد بها تقييد الدولة للكميات التى يطلبها الوطنيون من السلع والخدمات الأجنبية ، أو الكميات التى يطلبها الأجانب من السلع والخدمات الوطنية ؛ وبهذا تختلف عن الرقابة

غير المباشرة حيث يتم التأثير فى التجارة الدولية عن طريق التأثير فى مستوى الأثمان والدخول . وهناك طرق متعددة للرقابة المباشرة أهمها نظام الحصص والرقابة على الصرف واتجار الدولة. ونظام الحصص نظـــام فعال لتحقيق أغراض معينة مثل التوازن الخارجى أو حماية الانتاج المحلى أو تمكين البـلد من اداة للمساومة ، الا انه قد يحمى المنتج الضعيف على حساب المنتج صاحب الكفاءة العالية . واتجـــار الدولة فى الصادرات يرمى عادة الى تنظيم تسويقها بحيث لا يتدهور ثمن الصادرات بسبب زيادة العرض، واتجارها فى الواردات يرمى الى حصولها على السلع الأجنبية بأقل ثمن ممكن .

ويقول المؤلف ان البلاد المتخلفـــة تعانى ضآلة فى كمية راس المال التى تتعاون مع العمل، ومن ثم تستهدف التنمية الاقتصـــادية زيادة معدل الاستثمار . غير أن هذه الزيادة غير سهلة لانخفاض مستوى الادخار الاختيـــارى .. « تستطيع الدولة ــ كما تفعل عادة ــ أن تلجأ الى الادخار الاجبارى . ولكن بعد نقطة معينة يؤدى الادخار الاجبارى الى انخفاض شديد فى مستوى الاستهلاك الجارى ، وتضخم نقدى قد يهدر برنامج التنميـــة » . ومن ثم كانت رءوس الأموال الأجنبية كبيرة الأهمية من وجهة نظر البلاد المتخلفة كما انها « كبيرة الأهمية من وجهة نظر البلاد المقرضة حيث ان هذه البلاد تعانى وفرة فى المدخرات تجـــاوز امكانيات الاستثمار المحلى » . ويناقش المؤلف الشكوك فى رءوس الأموال الأجنبية ، ســواء من ناحيـــة الدول المتخلفة أو اصـــحاب رءوس الأموال .

وفى اعتقادنا ان وضع قواعد تنظيمية لاستخدام الأموال الأجنبية بما يكفل لها قدرا من الضمان، وتوجيهها الى النواحى التى تراها خطط التنمية لازمة ، كفيلين بحسن الاستفادة منها وابعادها عن النزوع الى الســـيطرة . كـذلك ينبغى لأصحابها أن يقدروا حقيقة مطالب البـــلاد المتنفعة وبخاصـة بعد زوال عصر التبعيـــة السافرة ، وعلى أساس مثل هذا التقدير يعود النفع على الطرفين .

ويختم المؤلف كتـابه بفصـــل طيب عن « المنظمات الاقتصادية الدولية » ، ويتنـــاول بالبحث والتحليل « صندوق النقـد الدولى » و « البنك الدولى للتعمير والتقدم » . وهـو يأخذ على البنك أن شروطه التى يتطلبهـــا من حيث سعر الفائدة وآجال الوفاء لا تتناسب مع قدرة المدين . وكذلك فالبنك اقرب الى التزمت منه الى التساهل مما ادى الى احجامه عن عقد قروض كثيرة أو احجام بعض البلاد عن قبول شروطه . كما أن بعض البلاد الأعضاء فىصندوق النقد الدولى تتمتع بسلطات واسـعة يمكن ان تستخدم لأغراض سياسية .

ان كتاب الدكتور « سعيد النجار » يسد فراغا كبيرا فى المكتبة الاقتصادية العربية ، وهو برغم عنوانه ومن اهتمامه بابراز نظرية التجارة الدولية يتطرق من خلال البحث فيهـــا الى معالجة الكثير من المسائل الاقتصادية التطبيقية مما يجعله ذا قيمة كبـــيرة لسياسة التنميـــة الاقتصـــادية بسبب ما يدلى به من آراء تلقى أضواء واضحة على جوانب هى موضع الابهام .

وثمة نقطة اخيرة نود التنويه بها وهى انه اذا كان المؤلف التزم أشـــد الحرص فى منهج البحث العلمى فان هـــذا الحرص انعكس على الطباعة فزالت من الصفحات الأخطاء المطبعيـــة التى كثيرا ما تفسـد كتبا وتشـــوه تعبيرات ومعانى وترهق القارىء .

د . راشد البراوى



الصحراء الكبرى

الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب ٤٨٥ ص ١٧×٢٤ ث ٨٥,٥ قرشا

قد يثاب الاستعمار رغم انفه ، فتكون له حسنة تذكر به وان جاءت عن غير قصد منه .

وكان الاستعمار الفرنسى فى مقدمة انواع الاستعمار التى نالها شىء من هذا الثواب غير المقصود ، فقد كان دائما شديد الاهتمام بالدراسات العلمية لجميع الاقطار التى وفد عليها . حقيقة انه كان يشجع هذه الدراسات لخدمة اغراضه ، ولاكتشاف امثل الطرق للافادة من ثروات البلاد وخيراتها ، ولكنه دون ان يقصد اثرى التراث العلمى فى مختلف الميادين ؛ وذهب الاستعمار وبقيت هذه الدراسات .

لقد جاء نابليون الى مصر والقرن الثامن عشر يلفظ انفاسه الأخيرة ، وجاء مع جنوده نفر من خيرة العلماء الفرنسيين المتخصصين فى كل فن ، فلم يكفوا لحظة واحدة عن الدراسة والبحث ، وكانت نتيجة اعمالهم كتاب « وصف مصر » الذى حوى عديدا من الفصول عن جغرافية البلاد واقتصادياتها وحياتها الاجتماعية وخططها وآثارها . وفشلت الحملة الفرنسية امام مقاومة الشعب المصرى الباسل ورحل الفرنسيون ولم يهنأوا بماء النيل أكثر من ثلاث سنوات ، ولكن بقى كتاب « وصف مصر » تراثا علميا خالدا ، نرجو أن تهتم به الجهات المسئولة فتنشره على الناس كتابا عربيا مبينا ، يقف فيه المواطنون على شىء غير قليل من أحوال بلادهم فى مطالع القرن التاسع عشر .

وكانت الصحراء الكبرى تشكل معظم المنطقة الاستعمارية الفرنسية فى افريقية ، فقد جاءها الاستعمار من الغرب ومن الشمال ومن الجنوب. وفى ٥ اغسطس سنة ١٨٩٠ عقدت فرنسا مع انجلترا اتفاقا اتاح لها الفرصة لتعزز مركزها فى الصحراء ، واعترفت انجلترا بسيطرة فرنسا على الصحراء فى تونس والجزائر من ناحية ، وفى النيجر وحوض بحيرة تشاد من ناحية أخرى، فاطمأن بال فرنسا واخذت جهودها فى السيطرة على الصحراء تتسع ، وتزايد عدد الرواد والمكتشفين من الفرنسيين ، يجوبون الانحاء المختلفة من النطاق الصحراوى الشاسع ، وكان منهم فرناند فورو ، وبرنارد داتانو ، والمركيز دىموريس ، ولامى ، وجولاند ، ومنيبهوغيرهم. وفى مارس سنة ١٨٩٩ عقدت انجلترا مع فرنسا اتفاقا آخر يكمل الاتفاق السابق ، وفيه تعترف



تأليف : ريمون فيرون
ترجمة : د. جمال الدين الدناصورى
مراجعة : د. نصرى شكرى

بالسيادة الفرنسية على الصحراء مقابل اعترافها لانجلترا بمعظم السودان .

والصحراء عند الجغرافيين ارض جرداء ، يقل فيها المطر ولا ينتظم سقوطه مما يضعف قدرتها الانتاجية فيجعلها غير صالحة لقيام حياة نباتية تكفى لاعالة عدد كبير من السكان . ولا توجد فى الأرض منطقة ينعدم فيها المطر تماما ، غير أن بعض الجهات يشتد فيها الجفاف الذى يقترن بعدد من العوامل الأخرى ككمية الضوء ، ودرجة الحرارة ومداها ، وشكل السطح وتربتة ، فتطبع تلك الجهات بطابع يميزها عن غيرها من الأقاليم . ومن ثم فان عامل المطر وان تكن له الصدارة فى تحديد صحراوية الأقاليم فانه ليس العامل الوحيد ؛ ولا تقل طبيعة المطر ونظامه اهمية عن كميتة ، ففى بعض الجهات الصحراوية قد تتجاوز كمية المطر السنوى ٥٠٠ مم ولكنها تسقط على شكل عاصفى فيضيع معظم مائها بالتسرب فى رمال الصحراء الظامئة أو بالتبخر فى هوائها الجاف . وربما وجدت مناطق أخرى فى العالم يقل مطرها عن نصف هذه الكمية ومع ذلك تقوم فيها الزراعة معتمدة على المطر لان هذا المطر القليل منتظم السقوط ويتفق موسمه مع فصل التبخر القليل .

وقد يظن البعض أن الصحراء ليست سوى فضاء شاسع مستوى السطح تغطيه الرمال ، والحقيقة أن هذه ليست هى الحالة السائدة فى معظم الصحراوات ، فليس كل صحراء مستوية السطح ، وليس كل جهاتها مما تغطيه الرمال ، بل ان الصحراء الكبرى وهى أوسع مساحة صحراوية فى العالم لا تزيد مساحة رمالها على ثلث مساحتها الكلية ؛ ومن ثم فهناك انواع مختلفة من الصحارى : الصحراء الصخرية وفيها تبرز الصخور الصلبة على السطح نتيجة للتعرية الهوائية فلا يغطيها الا القليل من الرواسب ؛ والصحراء المصرية وفيها يتكسر السطح الصخرى بتغيرات الحرارة ، وتتغطى الأرض بطبقة من المفتتات تحمل الرياح الانواع الدقيقة منها وتترك الحصى والحصباء ثم الصحراء الرملية وتتميز بتربتها المفتتة وسطحها المتموج وكثبانها الرملية ، الثابت منها والمتحرك .

وتمتد الصحراء الحقيقية على ١٣ درجة عرضية بين خطى عرض ١٨° ، ٣١° شمالا ،

ولكن المظاهر الصحراوية تمتد صيفا الى الشمال حتى البحر المتوسط ، وتمتد شتاء الى الجنوب حتى ساحل خليج غانة . وتسود الرياح التجارية الشمالية الشرقية فى الصحراء الحقيقية طول السنة ، وتحل محلها الرياح الغربية شتاء فى منطقة الانتقال الشمالية ، والرياح الجنوبية الغربية صيفا فى منطقة الانتقال الجنوبية ،

وللرياح الشمالية الصفات العامة التى للرياح التجارية ولكنها بطبيعة الحال اشد جفافا واقل ثباتا فى سرعتها واتجاهاتها من الرياح الهابة على المحيط . والسماء صافية الأديم والسحاب قليل وبذلك كانت أشعة الشمس لاهبة حتى لقد سجلت الصحراء اعلى درجة حرارة فى فصل الصيف . وترتفع درجة الحرارة بعد الظهر الى نحو الخمسين درجة مئوية ، ولكنها تهبط بشكل ملحوظ بعد الغروب نتيجة الاشعاع ويكون هبوطها سريعا كما كان ارتفاعها فى النهار . وتصبح الليالى حتى فى فصل الصيف باردة . ومن ثم فالصحراء منطقة يتسع فيها المدى الحرارى اليومى حتى لقد يصل فى بعض الأحيان الى ٥٣٠ م وبخاصة فى شهر اغسطس اما مدى الحرارة السنوى فاقل من المدى اليومى ولكنه مدى واسع كذلك . والصحراء هى أشد جهات العالم حرارة فى فصل الصيف ويبلغ متوسط حرارة يوليه ٣٨°م . اما الشتاء فمعتدل ، ومعدل حرارة يناير ١٠°م فى الشمال و ٢١°م فى الجنوب .

ولا يتجاوز متوسط المطر السنوى فى اى جهة من الصحراء الكبرى ١٢٥مم . وهو فى النطاق المتد بين خطى عرض ٢٠° ، ٢٥° اقل من ٢٥ مم . وقد يزيد عن ذلك قليلا على سواحل المحيط الاطلسى ، ولكن متوسط المطر فى الصحراء كما سبقت الاشارة اصطلاح لا قيمة له من الناحية العملية فقد يسقط المطر غزيرا لبضعة ساعات ثم ينحبس لعدة سنوات . وينال الأراضى المرتفعة فى الصحراء قدر اكبر من المطر فهضاب تبستى وآير يصيبها بعض مطر الصيف فتجرى به الاودية على جوانبها ؛ ومرتفعات حجار فى الشمال احسن حالا لان المطر يصلها من الشمال فى الشتاء ومن الجنوب فى الصيف . ويتعرض ساحل المحيط الاطلسى فيما بين المملكة المغربية والسنغال لتيار كنارى البارد ، وتصبح حرارة الساحل اقل منها فى الداخل وبخاصة فى الصيف حتى تصبح درجة الحرارة فى يوليه اقل من معدل حرارة الشهر نفسه فى ليبيا بنحو ٨ درجات مئوية .

وكان لفرنسا معظم الصحراء الكبرى اذ كان لها ما يمتد منها فى دول المغرب العربى الثلاث : تونس والجزائر والمملكة المغربية ، وما ينبسط على اراضى (افريقية الغربية الفرنسية) فى موريتانيا ومالى والنيجر وما كان يعرف بافريقية الاستوائية الفرنسية فى تشاد . وقد قاوم سكان الصحراء الاستعمار الفرنسى ببسالة فلم يستقر به الأمر فى الصحراء الا فى سنة ١٩٣٥ . واهتم الفرنسيون بنصيبهم من الصحراء ، فاخذت الدراسات الصحراوية تنشط وتتسع ؛ وبرز فى ميدان هذه الدراسات عدد من العلماء الافذاذ منهم أ . ف . جوتييه ، و ل بالو ، و ج . شوبير و . م . ليليبر ، وهـ . لوت ، و ن. منشيكوف، و ت. مونو وغيرهم كثير وبلغ من اهتمام فرنسا بالصحراء أن اعلنت اكاديمية العلوم للمستعمرات فى سنة ١٩٢٥ عن مسابقة فى موضوع « وضع سياسة عامة طويلة الأجل لاستثمار الصحراء الكبرى » وفاز فى المسابقة بحث اعده ا. ف. جوتييه استاذ الجغرافية بجامعة الجزائر . وقد نشر هذا البحث فى عام ١٩٢٩ فى حوليات الاكاديمية .

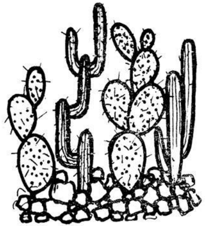
وخرجت فرنسا من الحرب العالمية الثانية وقد تقلصت امبراطوريتها فولت وجهها شطر الصحراء علها تسترد عن طريقها شيئا من مجدها القديم وعظمتها الضائعة ، ووضعت مشروعات لاستثمار الصحراء كان معظمها من نسج الخيال، وان تكن الصحافة الفرنسية قد تحمست لها كل التحمس . وفى وسط هذا الضجيج كان



الچيولوچيون يعملون فى صمت ، وأدت جهودهم الى اكتشاف الفحم فى جهات كلومب بشار والنحاس فى موريتانيا والقصدير والولفرم فى هضبة آير ثم الحديد والمنجنيز فى منطقة تندوف . واخيرا ظهر البترول وبدا ان الصحراء الكبرى على وشك الدخول فى نادى الذهب الأسود وخفق قلب فرنسا واصبحت تعتقد ان الصحراء هى طوق النجاة فتشبثت بها حتى انها أصرت فى اتفاقيات افيان التى اعترفت باستقلال الجزائر على ابقاء الأوضاع والاتفاقيات الخاصة باستغلال الشركات الفرنسية والعالمية لثروة البلاد المعدنية وبخاصة البترول .

وفى ضوء هذه الأوضاع الجديدة كان من الضرورى ان يعاد النظر فيما تجمع من حقائق وبيانات عن الصحراء الكبرى ، وكان أول من تصدى لهذا الموضوع الخطير الاستاذ « ريمون فيرون » فى كتابه « الصحراء الكبرى : الجوانب الجيولوچية ، مصادر الثروة المعدنية ، استغلالها » . الذى نشرته دار پايو فى باريس سنة ١٩٥٨ . وقد أحسن مشروع « الالف كتاب » صنعا بنشر ترجمة عربية لهذا الكتاب القيم قام بها الدكتور جمال الدين الدناصورى وراجعها الاستاذ الدكتور نصر شكرى .

ويقع كتاب « فيرون » فى ثلاثة أبواب يتناول الأول منها فى فصوله الستة المعالم العامة لجغرافية الصحراء الكبرى وسكانها وتوزيعهم . وهو يعرض هذه النواحى عرضا موجزا للغاية لانها فى نظر المؤلف معروفة جيدا ؛ وهو لا يقصد من وراء عرضها سوى توضيح الاطار العام الذى تدرس فى نطاقه النواحى الجيولوچية والموارد المعدنية التى هى الغرض الأساسى للكتاب . وبعد ان يدرس الحدود السياسية للصحراء يتحدث عن حدودها المناخية وينتهى الى ما سبق ان قررناه من ان الخصائص المتيورولوچية مفيدة فى تعريف الصحراء ، ولكنها لا تجدى نفعا فى تحديدها ، ولعل الأصح أن نفهم الصحراء على انها مظهر نباتى اكثر من كونها مظهرا مناخيا . فالنبات ليس نتيجة عامل واحد من العوامل التى تحدد مناخ الصحراء بل يتأثر مع المناخ بالعوامل الطبيعية الأخرى . ومن ثم فهو



اكثر دلالة على صحراوية الاقليم من اى عامل آخر .

ويستعرض فيرون مظاهر التضاريس واشكال السطح فى ارجاء الصحراء الكبرى من كتل جبلية ومنخفضات وأودية ، ثم يتناول الصحراء فى عصور ما قبل التاريخ والحضارات التى نشأت فيها منذ العصر الحجرى القديم الأسفل ، فالصحراء لم تكن دائما ارضا مجدبة بل شهدت عهودا كانت الحياة النباتية فيها اغنى مما هى عليه الآن . وكانت الزراعة وصيد الحيوان من الحرف التى يزاولها سكانها وقد خلفوا كثيرا من الأدوات الحجرية التى يمكن منها الحكم على خصائص الحضارات الصحراوية . وتدل الرسوم المحفورة على الصخور على أن سكان الصحراء قد عرفوا الحصان قبل الميلاد بنحو الف عام ، ولكنهم لم يعرفوا الجمل الا فى القرن الأول الميلادى . وجاء استخدامهم للمعادن متأخرا كثيرا عنه فى البلاد المجاورة ، فلم يعرفوا النحاس الا فى الفترة بين ٦٠٠ ، ٢٠٠ ق . م . ولم يعرفوا البرونز على الاطلاق لان القصدير لم يكن معروفا لديهم ، ولم يستخدموا الحديد الا فى نحو القرن الثالث الميلادى ، ويشير المؤلف الى أهمية ما كتبه هيرودت وسترابون عن الصحراء وحيواناتها والقبائل النازلة فيها . فاليهما يرجع الفضل فيما نعرفه الآن عن الشعوب الصحراوية القديمة وأساليب معيشتها .

ثم يتطرق المؤلف لتاريخ الصحراء الكبرى ويعترف بأن المصادر لا تكفى لاعطاء صورة واضحة عن هذا التاريخ ، ولهذا يكتفى بعرض موجز لتاريخ الجهات المتاخمة لها فى الشمال والجنوب لما لهذا التاريخ من أثر فى الصحراء التى كانت مرتبطة بالناحيتين بعلاقات : الجوار والتجارة احيانا ، وكانت مسرحا للحروب الناشبة بينهما احيانا أخرى . ولما كان المؤلف من علماء الجيولوجيا فهو ينقل عن المؤلفين الغربيين ، ومن أسف أنه لا يتبع المنهج العلمى السليم فيعرض وجهات النظر المختلفة ويمحصها ويقارن بينها ، بل يجنح دائما الى اقوال المتعصبين من كتاب الغرب وبخاصة الفرنسيون الذين يشوهون الحقائق عن عمد ، ويتحاملون على العرب والمسلمين زورا وبهتانا ، ويرمون تاريخهم وحضارتهم بكل نقيصة ، وانا لنحمد للدكتور الدناصورى عنايته بهذه الناحية فلم يترك مغمزا ولا مطعنا جاء به المؤلف الا رد عليه فى الهامش وكان الدناصورى موفقا حينما قال فى أحد تعليقاته :

« كم يحقد هؤلاء المؤرخون من الفرنسيين لان شمال افريقية مازال عميق التأثر بالنفوذ العربى فى دينه وثقافته ، على حين لم يترك الحكم اللاتينى ، القديم على يد الرومان البيزنطيين ، واللاحق على يد الفرنسيين والأسبان الا آثارا ضئيلة عارضة مصيرها للاختفاء » .

ويتحدث فيرون عن سكان الصحراء ويقدر عددهم بنحو مليون ونصف مليون نسمة ثلاثة أرباعهم على الأقل من البدو ، وهم خليط من البربر والعرب ، وأهم جماعاتهم البربر المستعربون الذين استقروا فى واحات الميزاب ، والمور سكان موريتانيا الذين يعرفون غالبا باسم «الرجال الزرق» وتنتظمهم قبائل بعضها مستقر والبعض رحال ، والطوارق « الملثمون » الذين اعتنقوا الاسلام منذ القرن السابع ويتكلمون لغة خاصة بهم ، والتيبو الذين يسكنون هضاب تبستى وما حولها . وهو فى تناوله لهذه الجماعات يتحدث عن صفاتها البدنية وقبائلها وتوزيعهم وعاداتهم ونظمهم الاجتماعية ومواردهم من الزراعة والرعى والصيد .

وينتهى الباب الأول بفصل يتحدث فيه المؤلف عن كشف الصحراء الفرنسية واحتلالها، فيتتبع فصول قصة الكشف الجغرافى منذ أواخر القرن الثامن عشر حينما تكونت فى انجلترا عام ١٧٨٨م « جمعية تشجيع الكشف فى داخل افريقية » . ويتحدث عن الرحلات الكثيرة التى قام بها الفرنسيون وغيرهم ، وعن المقاومة التى لقيها الاستعمار الفرنسى وهو يبسط نفوذه على الصحراء ، وبخاصة من قبائل الطوارق والمور الذين لم يلقوا السلاح الا فى منتصف العقد الرابع من القرن العشرين .

اما الباب الثانى فهو أهم اجزاء الكتاب الثلاثة ، فهو يتناول البناء الجيولوجى للصحراء كأساس لدراسة الموارد المعدنية النافعة ، ويبين كيف أن النجاح الذى ظفرت به بعض المناطق فى ميدان التعدين انما حدث فى الجهات التى تمتعت بالقسط الأوفر من البحث الجيولوجى . ويتتبع فيرون العصور الجيولوجية المتعاقبة وتكويناتها وتوزيع هذه التكوينات والخصائص المميزة لها والحفريات التى وجدت فيها ، ويتحدث عن الكثير من نتائج البحوث القيمة التى قام بها الجيولوجيون فى مناطق مختلفة ، وأثرها فى تمهيد الطريق لاستثمار الموارد المعدنية فى الصحراء ، ويوضح هذه الدراسة بكثير من الخرائط والقطاعات الجيولوجية . وعندنا أن هذا الباب هو خير ما كتب حتى الآن عن جيولوجية الصحراء الافريقية ، فهو لم يترك بحثا تناول تاريخها الجيولوجى أو وصف تكويناتها الصخرية وحفرياتها الحيوانية والنباتية الا أشار اليه ويرى المؤلف انه يمكن تمييز دورتين كبيرتين للغاية فى عصر ما قبل الكمبرى سواء من ناحية الارساب أو حركات الالتواء ، وأنه قد نشأت فى هذا العصر سلسلتان كبيرتان من الجبال على الأقل تمتدان من الشمال الى الجنوب هما سلسلة حجار ـ داهومى ، وسلسلة الرقيبات





ـ ساحل العاج ، ثم يذكر ان الغطاء الرملى الذى ينتمى الى الزمن الأول لم يحدد تاريخه المطلق بعد رغم كل البحوث التى اجريت .

وكان الاوردوفيشى عصر طفيان اذا قورن بالكمبرى ، وتكويناته من الحجر الرملى الذى تفتت من الكتل الضخمة التى ظهرت فوق سطح المياه والتى لم نتمكن بعد من تحديد موقعها الجغرافى . وترتكز تكوينات الديفونى فوق تكوينات الاوردوفيشى فى كثير من الأحيان ، وقد تعرضت للحركات الكليدونية . وطغى البحر فى العصر الفحمى الذى توجد تكويناته الجيرية فى اقليمى كلومب بشاد وتندوف وفى حوض تاودينى ولكننا لا نعرف شيئا عن امتداداتها فى الغرب .

وكانت تكوينات البرمى قارية بصفة عامة وتعلوها تكوينات الترياسى وهى من الحجر الرملى والصلصال الأحمر . وتبدو المظاهر الأولى للالتواء الهرسينى منذ أوائل العصر الفحمى ، وتظهر فى شكل تموجات كبيرة تشغل مساحة شاسعة من الصحراء الوسطى ، وفى الالتواء المقعر فى تندوف بين أطلس الصغرى وجبال الرقيبات ، وفى حوض تاودينى والالتواء المحدب الذى يمتد عبر ساحل العاج من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى . وللحركات الهرسينية اهمية كبرى لأنها أثرت فى معظم جهات الصحراء وامتد تأثيرها حتى الكريتاسى الأوسط وتعد مسئولة عن المظاهر المورفولوجية الحالية أو معظمها على الأقل .

أما تكوينات الجوراسى فهى من الرواسب الطينية والحجر الرملى التى قد يصل سمكها احيانا الى عدة مئات من الأمتار وهى تناظر طبقات الخرسان النوبى فى السودان ومصر . وحدث طغيان عظيم للبحار فى الكريتاسى فوصلت مياه البحر المتوسط الى كتلة حجار وهضاب تبستى ، وطغى المحيط الأطلسى فغمر حوض بحيرة تشاد ، وفى كثير من الجهات نجد أن هذا العصر يمثل بداية النشاط البركانى . وفى الايوسين الأسفل اتصل البحر المتوسط بخليج غانة عن طريق الصحراء لأول مرة ، ثم أخذ البحر يتراجع فلم يكد ينتهى البلايوسين حتى كان قد انحسر تماما عن الصحراء فلم تبق منه سوى اذرع بحرية وبحيرات شاطئية أرسبت فيها تكوينات من الفوسفات مازال عمرها موضع جدال .

أما الزمن الرابع فبالرغم من حداثته النسبية فيعد فى جملته غير معروف جيدا فى الصحراء ، فالحفريات التى تنتمى اليه قليلة ومبعثرة ، ولكن المقطوع به أن الصحراء فى هذا الزمن قد شهدت فترات رطوبة ، ويكذب فيرون القول الشائع بأن الصحراء فى هذا الزمن كانت تغطيها الغابات الكثيفة وتجرى فيها الأنهار الكبرى ، ويرى أن الأمر لم يكن يتعدى وجود أودية تتلقى السيول الغزيرة وان الكتل الجبلية مثل تبستى

وتاسيلي وحجار كانت تنمو بها الأشجار وفيما عدا ذلك فأن مظاهر الصحراء كانت كما هي اليوم ، وكانت الكثبان الرملية والعروق تمتد كما تمتد الآن دون تغيير يذكر . ويمكن أن نميز بين الكثبان القديمة والحديثة ، فالأولى تماسكت واصبحت تتكون من حجر رملي أصفر برتقالي بينما تتكون الأخرى من رمال فاتحة اللون .

ويمكن ان نتبين فترتى جفاف تكونت فيهما الكثبان الرملية وتفصل بينهما فترة رطبة جرت فيها الأودية بالمياه وبخاصة وادى تلمسى ، كما امتدت فى أثنائها بحيرة تشاد لتغطى مساحة كبيرة الى الشمال الشرقى من موقعها الحالى . فلما كان الحجر القديم الأعلى بدات فترة جفاف يقطع اتصالها فترات رطوبة اما فى الحجرى المتوسط والحديث فتظهر آخر فترات الرطوبة ثم تأخذ الصحراء تتحول الى صحراء جافة تدريجيا بعد فترة التحسن المناخى التى شهدها العصر الحجرى الحديث .

وبعد ان يفرغ المؤلف من عرضه المفصل لتتابع الطبقات عبر العصور الجيولوجية يفرد فصلا لدراسة الجيولوجية الاقليمية فيقسم الصحراء الى ثلاث مناطق هى : الصحراء الغربية وتضم أطلس الصفرى ، وجبال أوجارتا ، وسلاسل الرقيبات ، وثنية تندوف القعرة ، وحوض تاودينى ، واقليم كلومب بشار وساورا ، وتانزروفت والمضيق السودانى ؛ والصحراء الوسطى وتشمل كتلة حجار وملحقاتها ، ومرتفعات تاسيلى ، والمنخفض الكبير جنوبى الأطلسى ، والمضيق بين حجار وتبستى . والصحراء الشرقية وتشمل تبستى ، وبرتو ، ودادى ، وانيدى واردى ، وحوض تشاد .

ويختص الباب الثالث من الكتاب بموارد الصحراء المعدنية ، فيتحدث عن البعثات التى أوفدتها حكومة الجزائر وغيرها من الوحدات السياسية التى تمتد الصحراء فى أراضيها ، والمجهودات التى قامت بها هذه البعثات فى التنقيب عن موارد المياه الجوفية وعن البترول والغاز الطبيعى والنحاس والحديد والمنجنيز والقصدير والولفرم والتبتانيوم والزركون والرصاص والزنك واليورانيوم والفوسفات والملح ، ويعنى بصفة خاصة ببترول الجزائر وحديد موريتانيا ويتحدث عن شركات البترول الخمس الكبرى التى تمتلك الحكومة الفرنسية أسهمها او تشارك بحصة كبيرة فى رأس مالها ، وعن المشروعات المقترحة لاستغلال موارد الصحراء ، وتوفير الطاقة اللازمة لهذا الاستغلال باستخدام الفحم والغاز الطبيعى والاشعاع الشمسى والطاقة الهوائية والطاقة الذرية ثم يتناول طرق النقل فى الصحراء وعلاقتها بمستقبل الاستغلال الاقتصادى .

ويعرض المؤلف لمشكلة الأيدى العاملة اللازمة للتعدين والتصنيع ويتساءل هل يمكن أن تجمع الأيدى العاملة الضرورية من بين سكان الصحراء الحاليين أم لابد من استيرادها من الخارج ؟ وفى رايه ان رجال الاقتصاد والسياسة لا يستطيعون الاجابة على هذا السؤال ، وانما الأطباء وحدهم هم الذين لديهم الجواب الشافى المتسم بالصدق والأمانة ، ومن ثم يعمد الى تفصيل آراء ادموند سرجان فى الموضوع وكان سرجان يعمل مديرا لمعهد باستير فى الجزائر وخلاصة رأيه :

- ان البدو لا يمكن استخدامهم البتة لاستغلال الصحراء فهم يرفضون اى عمل يدوى.
- وان المستقرين فى الواحات لا يصلحون لهذا العمل كذلك نظرا لضعف بنيتهم بسبب سوء التغذية .
- وان السود المستوردين من الخارج يمكن استخدامهم ــ بشرط الا يكونوا مصحوبين بأسرهم ــ كعمال موسميين تحت الاشراف والرعاية الطبية فهم يستطيعون تحمل صيف الصحراء ولكنهم لا يتحملون شتاءها .
- وان البيض هم الذين يستطيعون ان يقضوا بضعة أشهر فى الصحراء على ان يستخدموا كموظفين اذا كانوا من الاوربيين وكعمال اذا كانوا من شمال افريقية .

وواضح مدى المغالطة فى اقوال سرجان فالبدو يمكن تدريبهم على العمل ولهم أسوة باخوانهم فى السعودية والكويت وقطر ، وسكان



الواحات يمكن أن تحسن تغذيتهم فتقوى بنيتهم وتزداد قدرتهم على العمل والانتاج ، ولا ندرى لماذا يفرق سرجان بين البيض فيقصر العمل اليدوى على أهل شمال افريقية بينما يخص الاوربيين بالوظائف ! انه منطق الاستعمار وكم للاستعمار من مغالطات .

وبعد فهذا عرض سريع لكتاب ضخم قيم ، ولا شك ان الدكتور جمال الدين الدناصورى قد بذل جهدا مشكورا فى نقله الى اللغة العربية ووفق فى ذلك الى حد كبير ، ولكن الترجمة لم تسلم من أخطاء يتصل بعضها بكتابة الأسماء ويتصل البعض الآخر باللغة ويكفى أن نشير هنا الى أمثلة من هذه وتلك :

(١) ص ٩ س ٧ كولمب بشاد وصحتها كلومبى يشاد

(٢) ص ٣١ س ٥ زيمور وصحتها زمور

(٣) ص ٦٤ وصفحات أخرى كثيرة ترد لفواط وصحتها الاغواط .

(٤) ص ١٠٦ س ٥ تأكيدا وصحتها تكدى .

(٥) ص١٠٧ س١١ أولاته وصحتها ظهر ولاته.

(٦) ص ٩٤ س ١١ أورجله وصحتها ورقلة.

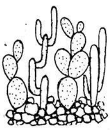
(٧) ص ٧٢ س ١٧ ارتدوا عن الدين اثنتا عشرة مرة وصحتها اثنتى عشرة مرة .

(٨) ص ٧٦ س ٣ الميرنيين وصحتها المرينيين

(٩) ص ١٨٤ س ١٢ الحفائر وصحتها الحفريات .

ولكن هذه الهنات والهينات وأمثالها لن تنقص من قيمة الترجمة الجيدة للكتاب التى تشهد بالجهد العظيم الذى بذله الدكتور الدناصورى وانه لجهد مقدر مشكور .

د . محمد محمود الصياد





سطور من كتاب

الموسيقى والحضارة

« واجهت « موسيقى المستقبل » ثلاثة تيارات مضادة . كان التيار الأول فى الأوبرا . أما التياران الآخران فكانا فى الموسيقى السيمفونية وعارضت هذه التيارات النزعة الفاجنرية من ناحية ، كما أنها تأثرت بها من ناحية أخرى . وربما أمكن القول بأن صراع هذه القوى المتعارضة قد جعل لموسيقى أواخر القرن التاسع عشر طابعا خاصا ، وان هذه الاتجاهات المعارضة قد أضافت أشياء جديدة الى جوهر الموسيقى فى السنوات ما بين ١٨٥٠ - ١٩٠٠ . أما هذه القوى الثلاث المعارضة فهى :

١ - الأوبرا الايطالية ويتزعمها جوزيبى فردى .

٢ - موسيقى يوهان برامز .

٣ - الفن السمفونى لانطون بروكنر .

وكانت رسالة فردى هى البلوغ بفن الأوبرا الايطالى القديم الى القمة ، وفردى بلا شك هو أعظم عبقرية ايطالية درامية أنجبتها ايطاليا . ومكانته فى قمة الموسيقى المسرحية الايطالية مماثلة لمكانة فاجنر فى ألمانيا . وبرغم تأثره بفاجنر فى مؤلفاته الأخيرة تأثرا ملحوظا ، تجلى بوضوح فى كل من الشكل والمحسنات الهارمونية الكبيرة ، وزيادة العناية بالناحية السمفونية والأوركسترالية ، ظل الأثر الايطالى واضحا فى جوهر موسيقاه ، وفى ميلودياته اللامعة ، ونظرته الفطرية الصافية الى أمور المسرح ، وفى روحه المتحمسة . »

الحــركة الصّليــبيّة

تأليف
الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ١٢٨١ ص
١٧×٢٤ سم جزءان . الثمن ٢٢٥ قرشا



لا تزال مكتبتنا التاريخية العربية فى حاجة الى مزيد من الجهد لسد الفراغ فى الدراسات الاوربية فى العصور الوسطى وعلاقة الشرق بالغرب فى تلك العصور . وموضوع الحروب الصليبية عالجه من بعض نواحيه أساتذة اجلاء عنوا بالبحث الدقيق فى تلك الموضوعات مثل الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة والأستاذ الدكتور السيد الباز العرينى والدكتور حسن حبشى . كذلك عنى الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية بالبحث فى الحروب الصليبية المتأخرة ولو ان مؤلفاته ظهرت باللغة الانجليزية وليست بالعربية .



وهذا الكتاب الذى بين أيدينا كتاب شامل لتلك الحروب .

وقد اخرج مؤلفه الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور منذ بضع سنوات كتبا جليلة الفائدة فى الدراسات الاوربية فى العصور الوسطى مثل كتاب « قبرس والحروب الصليبية » وكتاب « النهضات الاوربية فى العصور الوسطى وبداية الحديثة » وكتاب « اوربا العصور الوسطى » ، وتوج جهوده فى هذا الميدان باخراج كتاب « الحركة الصليبية » فى القاهرة سنة ١٩٦٣ م الذى يحق للمكتبة العربية أن تفخر به كل

الفخر . وهذا الكتاب سد فراغا فى المكتبة العربية التاريخية التى لم تحظ حتى ظهوره بمؤلف واحد شامل فى تاريخ الحروب الصليبية .

والحق ان الحروب الصليبية كانت تجربة لها آثارها البعيدة المدى فى تاريخ العروبة والوطن العربى ، فهذه الحروب أوجدت الصلة المباشرة بين الشرق والغرب ، اذ ثبت الصليبيون اقدامهم فى بقعة من الشام واخذ الصليبيون يسعون من تلك البقعة الى تهديد الوطن العربى كله سواء أكان بقية الشام او مصر او العراق او الحجاز او شمال افريقية والاندلس . واستمات الصليبيون فى العصور الوسطى فى منع تحقيق وحدة الصف العربى وحاولوا بمختلف الطرق منع الوحدة بين مصر والشام والعراق اذ ان هذه الوحدة معناها طرد الصليبيين من الوطن العربى . ولكن الوطن العربى خيب ظن الصليبيين واخذت مصر والشام على عاتقها طرد هؤلاء الدخلاء وكان رمز البطولة ورمز وحدة الصف هو السلطان الناصر صلاح الدين الايوبى وقد سبقته حركات للتحرر وتلته حركات اخرى واصبحت وحدة الشعب العربى حقيقة واقعة نابعة من صميم الوطن العربى . وما أشبه الليلة بالبارحة !! فقد اقام الاستعمار الغربى فى عصرنا الحاضر اسرائيل فى ارض فلسطين العربية وحرص على مساندتها وامدادها بالمال والسلاح لتقف شوكة فى الجانب العربى ولتمنع وحدة العرب وقوتهم ولكن هيهات !! والحق ان الاوضاع التى تحيط بالعالم العربى اليوم مثل تلك الاوضاع التى عاش فيها اجدادنا العرب منذ ثمانية قرون ونصف فى زمن الحروب الصليبية ولا شك ان دراسة الحروب الصليبية بطريقة علمية امينة تجعلنا نستفيد من تجارب الماضى حتى يمكننا التغلب على خطر اسرائيل وخطر القوى الاستعمارية .

والحق ان مؤلف كتاب الحركة الصليبية بذل اقصى ما يستطيع من الجهد والاستقصاء ويمتاز كتابه بالدراسة المتقنة العميقة وقد وضح المؤلف أن الحرب الصليبية لم تكن مجرد حرب لاسترداد الأراضى المقدسة من المسلمين وحماية حجاج الغرب الذين يقصدون بيت المقدس . اذ لو كان هذا الزعم صحيحا لاقتصرت الحروب، على بلاد الشام ؛ ولكن الحروب الصليبية لم تكن محدودة بميدان معين أو ببلد واحد فكان النشاط الصليبى يمتد فى الشام ومصر والعراق وشبه جزيرة العرب والبحرين الاحمر والمتوسط واسبانيا وشمال أفريقية وآسيا الصغرى .

ولم يقتصر مؤلف هذا الكتاب على دراسة هذا الموضوع دراسة طيبة متينة من وجهة نظر مؤرخى الغرب وانما نرى من فصول الكتاب ما ينم عن الدراسة العميقة لوجهة النظر العربية .

ونرى مؤلف هذا الكتاب امينا فى بيان وجهتى النظر الغربية والشرقية . والحق ان وعى الشعب العربى آنئذ كان قويا ووضح ذلك فى كتابات المؤرخين العرب امثال ابن الأثير وابى شامة وابن شداد وابن واصل وأبى المحاسن والقريزى وغيرهم .

ولا شك انه مما يكمل الصورة ويوضح وعى الشعب العربى ما ذكره المسيحيون العرب آنئذ فى كلامهم عن تلك الحروب . وكنت اطمع فى أن يشير المؤلف الى وجهة نظر الكتاب المسيحيين والأساقفة المصريين فى كتاب « تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية » للاسقف المصرى ساويرس بن المقفع ، فحين يحدثنا ساويرس عن الصليبيين وقدومهم الى الشرق لا يعتبر ان هذه الحروب حرب بين المسيحية والاسلام وانما ينظر الى الصليبيين على انهم غزاة أعداء للشرق . ويعلق على امتلاكهم لبيت المقدس بأن الأقباط واليعاقبة سوف لا يستطيعون الحج لأختلافهم والصليبيين فى المذهب الدينى (١) .

ويمتاز كتاب الدكتور سعيد عاشور بانه لم ينته بالحروب الصليبية كما انتهى معظم

(١) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المجلد الثانى ج ٣ ص ٢٤٩ (نشر الجمعية القبطية ـ القاهرة ١٩٥٩) .

مؤرخى الحروب الصليبية عند طرد الصليبيين من عكا سنة ١٢٩١ م على يد السلطان المملوكى الأشرف خليل بن قلاوون وزوال دولة الصليبيين بالشام بعد قدومهم الى المشرق بنحو قرنين من الزمان بل ان مؤلفنا أرخ للفترة الأخيرة للحروب الصليبية أو للحروب الصليبية بعد سقوط عكا اذ ان قصة تلك الحروب قدر لها أن تستمر فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين.

وقد احدث سقوط عكا سنة ١٢٩١م دويا مؤسفا فى غرب اوربا لم يقل عن الأثر الذى أحدثه سقوط بيت المقدس على يد صلاح الدين الايوبى فى سنة ١١٨٧م . وكان من أهم دعاة الحرب الصليبية فى اواخر القرن الثالث عشر الميلادى « ريموند لل ؟ Lull » الذى ولد فى جزيرة ميورقة وامتاز عن بقية الدعاة بمعرفته للغة العربية والبلاد الاسلامية بعد أن قام برحلات متعددة فيها . وأوصى « لل » مجمع ڤينا (١٣١١ — ١٣١٢) بالقيام بحملة صليبية تتخذ طريق اسبانيا فشمال افريقية للوصول الى مصر والشام . بل أن « لل » استغل معرفته للغة العربية للتبشير بالمسيحية بين المسلمين فى شمال افريقية وانتهى امره اخيرا بأن أعدم رجما بالحجارة فى أوائل سنة ١٣١٦م .

ولم تتردد البابوية فى تشجيع المنظمات التى نهضت فى اسبانيا بالدور الذى قامت به الاسبتارية والداوية والتيتون فى بلاد الشام . بل ان الفضل يرجع الى البابا أسكندر الثالث والبابا انوسنت الثالث فى قيام أشهر منظمة دينية حربية عرفتها اسبانيا وهى منظمة سنتياجو . وبفضل نشاط هذه الهيئات وجهودها اشتدت حماسة المسيحيين فى حرب المسلمين فى الأندلس وغلب الطابع الدينى على هذه الحرب فجعل منها حربا صليبية مقدسة لا تقل اهمية فى نظر الأوربيين آنئذ عن الحرب الصليبية فى الشرق . ونلاحظ أن الاتراك العثمانيين أصبحوا القوة الاسلامية الكبرى فى آسيا الصغرى فى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى وكانت حركتهم التوسعية على حساب الدولة البيزنطية وغيرها من القوى المسيحية فى شرق أوربا تبدو فى نظر الاوربيين المعاصرين ذات مسحة دينية خطيرة .

ونرى الرأى الغالب فى التاريخ هو اعتبار الحملات التى أعدها الاوربيون فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر لوقف التوسع العثمانى فى شرق اوربا ، حملات صليبية قام بها الاوربيون لحماية شرق أوربا من حركة التوسع الاسلامى التى قام بها العثمانيون على حساب الشعوب المسيحية . وكانت حملة نيقوپوليس هى آخر حملة صليبية كبيرة ذات صبغة دولية ، اذ تجمعت تلك الحملة للقضاء على العثمانين ووصلت الى نيقوپوليس اقوى المعاقل العثمانية على الدانوب وفى هذه الموقعة أحرز العثمانيون سنة ١٣٩٦م نصرا عظيما ضد جموع الصليبيين .

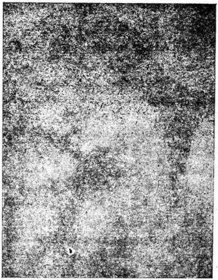
وحين سقطت القسطنطينية فى يد العثمانيين سنة ١٤٥٣ م اهتزت البابوية والعالم المسيحى وحاول البابا پيوس الثانى فى سنة ١٤٦٣ م أن يضع مشروع حملة صليبية كبرى ولكن لم يقدر لهذه الفكرة النجاح ... وان كانت الحروب الصليبية قد انتهت فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين بفشل الصليبيين فى الشرق الأدنى فان تلك الحركة قدر لها النجاح فى اسبانيا حيث انتهت باخراج المسلمين نهائيا من اسبانيا . ولعل المسلمين فى اسبانيا كانوا بعيدين عن قلب العالم الاسلامى ومركز حركة الجهاد ، كما انهم كانوا قريبين من البابوية ومن قلب العالم المسيحى الغربى ، فضلا عن الثغرة التى تركها الاسلام فى اسبانيا منذ الفتح وهو ترك الامارات المسيحية حرة طليقة فى أقصى شمال شبه الجزيرة .

والحق أن الدكتور سعيد عاشور يستحق التهنئة الصادقة على جهده وبحثه ودراسته فى هذا الكتاب القيم . وقد اكمل المؤلف عمله الرائع هذا بخرائط وكشافات وجداول كثيرة يبدو فيها الجهد الكثير مثل ذلك الكشاف الأبجدى بأسماء المدن والأماكن الجغرافية كما وردت فى المراجع الصليبية وما يقابلها فى المراجع العربية .

ونحن اذ نهنىء الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور نتمنى أن يخرج لنا من حين الى آخر مثل هذا الكتاب انشاء الله .

د . سيدة اسماعيل كاشف





الأصول الجمالية للفن الحديث

تأليف

حسن محمد حسن

الناشر : دار الفكر العربي

٢٥٢ ص ١٧×٢٤سم الثمن ٥٠ قرشا

ان موضوع الفن الحديث قد يثير اهتمام الكثيرين فى الآونة الحاضرة من المعنيين بالفنون التشكيلية ، كما أنه يتيح مجالا للتساؤل بين الفنانين من جانب والجمهور من جانب آخر ، وذلك لأن الاتجاهات الفنية المعاصرة التى سادت المعارض الفنية فى السنوات الأخيرة كانت على الدوام محلا للكثير من الجدل بين كل من مؤيدى الفن الحديث والفن الأكاديمى ، ذلك الجدل الذى لم تهدأ حدته حتى الآن .

لذا فان كتابنا هذا الذى نقدمه اليوم ، انما يقدم اجابات وايضاحات عن تلك التساؤلات تحت عنوان « الأصول الجمالية للفن الحديث » حيث يقوم موضوعه بصورة عامة على ابراز الجوانب الفلسفية التى يستند اليها الفن المعاصر .

ولقد راى المؤلف ان البحث فيما يتعلق بهذا الفن وخاصة فى الأصول والجذور العميقة



التى نبتت منها فكرته الجوهرية لا يمكن ان تكون صدى لتطورات مفاجئة فى عصرنا الحديث فحسب ، بل هى تمثل صورا لتاملات تاريخية فى الماضى البعيد ، حيث استطاع بهذا البحث ان يكشف عن مدى اهميتها ، ومبلغ ما وصلت اليه تلك التأملات الجمالية التى دارت بخلد المفكرين القدماء من حكماء اليونان ، وما كان لآرائهم الفلسفية من أثر فعال فيما أخذ به الحديثون فى الفن المعاصر .. وعلى هذا النحو يبدو لنا ان المؤلف لم ينظر الىذلك الفن الحديث « المعاصر » نظرة منفصلة ، بل نظر اليه من خلال تلك البانوراما التاريخية العظيمة التى تمثل جميع صور الانتاج الفنى منذ ما قبل التاريخ حتى عصرنا الحاضر ، حيث ترسم اتجاه التاملات الجمالية واقتفائها لخطى الوعى الفنى على ممر العصور ، وامكنه بذلك ان يستخلص النتائج التى تتمثل فيما أدى اليه تطور هذه التأملات الفلسفية الجمالية فى ذلك الانقلاب الفنى الضخم فى أواخر القرن التاسع عشر وما كان له من صدى عميق فى متشعب الأساليب المذهبية التى سار على منهجها الفنانون فى العصر الحديث . وقبل أن نستعرض مواد الكتاب يحسن بنا — لكى تتكامل الصورة — أن نتعرف على مؤلفه اولا ..

ومؤلفنا هو الفنان حسن محمد حسن استاذ مادة الطبيعة الحية بكلية الفنون التطبيقية، وهذا الكتاب «الأصول الجمالية للفن الحديث» هو ثانى مؤلفاته الذى صدر بعد كتابه الأول « مذاهب الفن المعاصرة » والمؤلف من الأساتذة القدامى المشتغلين بالفنون التشكيلية المارسين لها منذ اكثر من خمسة وثلاثين عاما ، فلقد تخرج فى الفنون التطبيقية منذ عام ١٩٢٦ ، حيث التحق عقب التخرج ببعثة جامعة فيلادلفيا للآثار ومن بعدها بعثة جامعة شيكاغو ، وقد غرست فيه هذه البيئة العلمية حبه للبحث والاطلاع وكانت تمهيدا طيبا لما تلاها عندما أوفد الى ايطاليا للتخصص فى دراسات فنية تطبيقية حيث أتاحت له هذه الفرصة أن يتوفر على دراسة التصوير الزيتى بأكاديمية البندقية ، وأن يرى على الطبيعة مختلف الاتجاهات والمدارس الفنية ، وقد مارس الفن منذ ذلك الحين ومازال يمارسه حتى الآن بنشاط دائب، وقد نالت لوحاته التقدير فى داخل الجمهورية العربية وخارجها .

ولكى نتعرف على بواعث هذا المزاج الفلسفى فيما يتعلق بأبحاث المؤلف فى هذا الكتاب ، وخاصة بالنسبة لفنان يستنفد انتاج العمل الفنى وتدريسه جهده ووقته ، نرى أن ذلك مرجعه الى ان المؤلف نشأ فى بيئة دينية متصوفة ، وبالنظر الى مابين كل من التصوف والفلسفة من صلة وثيقة فقد دفعه ذلك الى البحث فى « التصوف الاسلامى » وقاده هذا الاتجاه آخر الأمر الى الالمام بالخطوط الرئيسية لتاريخ الفلسفة فى صورته العامة والذى تعتبر الفلسفة الجمالية من احدى فروعه .. وكما كان لتأملاته الجمالية صداها فى موضوع هذا الكتاب ، فقد كان لها صدى آخر فى معظم ما أنتج من موضوعات لوحاته ، التى تجمع بين اتجاهات الفن القديم والفن الحديث تبعا لتطور حياته الفنية فى مراحلها المختلفة .

عوض بهيد مؤاد الكتاب ...

ولما كنا بصدد التعرف على جوانب هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم ، فاننا نرى انه صورة لآراء المؤلف وتجاربه الفنية الى جانب المامه واطلاعاته الثقافية ، حيث يتضمن فى تخطيطه شطرين :

اما الشطر الاول منه ، فلقد اراد المؤلف أن يطوف بنا فى جولة حول موضوعات عديدة ، تعتبر من احدى نواحيها بمثابة أساس تمهيدى للفكرة الرئيسية التى يستند اليها موضوع الكتاب وهو : أثر الفلسفة الجمالية القديمة فى الاتجاهات الفنية الحديثة « حيث تتمثل فى الشطر الثانى منه » كما قد تعد من ناحية اخرى تحليلا مفصلا عن الجوانب الكثيرة التى تتعلق بجوهر الفن وطبيعته فيما يتعلق بكل من شخصية الفنان من جانب ثم الفن وما تقتضيه عملية الابداع والتذوق الفنى من جانب آخر ،

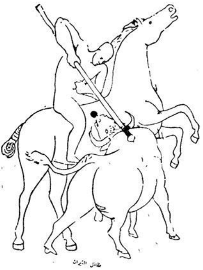
وما كان للبيئـــة المكانية والزمانية والفكـرية والاجتماعية من اثر فى انتاج الفنـــان ، وذلك بالاضافة الى المفاهيم التى تتعلق بتعريف الفن وخصائصه ووظائفه ، كمــا حرص المؤلف على تعريفنا بالأطوار التاريخية التى تقلب فيهـــا الانتاج الفنى فى قصـــة شيقة تحـكى لنا تلك البواعث والتيارات الخفية التى لعبتدورا هاما فى مختلف الظواهر الفنية ، وكذا الدوافع التى ادت الى ظهور الاتجاهات الفنيـــة التقدميـة بمتباين مذاهبها المعاصرة .

ولقد بدأ الشطر الأول من هـــذا الكتاب بالحديث عما تعنيه الفلسفة الجمالية . حيث عرف لنا المؤلف هذا الاصطلاح بأنه اللقبالذى اطلق على ضرب من ضروب الفلسفة يقوم على التأملات التى تبحث عن الحقائق المستترة وراء ظواهر الانتاج الفنى فى مختلف صوره ســـواء التاريخية منها او المعاصرة ، ويرى ان الجمال اذ يعتبر من ابرز المظاهر المتعلقة بالفن منذ اقدم عصور التاريخ ، من أجل ذلك كانت هــــذه التأملات تنقب عن أسرار الجمـال وتبحث عن ماهيته وعلله وجذوره العميقة فى كل من العالم الطبيعى الذى هو من صنع المبدع الأول ، وعالم الفن الذى هو من ابتداع الانسان .

ثم يعــرض المؤلف لبعض الجـوانب التى طال فيها أمر الجدل والنزاع حول ماهية الفن وطبيعته وعن المعضلات الكثيرة التى اعترضت طريق الوصول الى المفاهيم الحقيقية عن هــذه الطبيعة منذ ان تناولتها عقول كبـــار الفلاسفة اليونانيين ومن طرقها بعدهم .

ثم يقـدم المؤلف مجموعة من التساؤلات نستطيع ان نستشف منها الجوانب التى توضح جوهر الفن وطبيعته والأهـداف والمرامى التى يرمى اليها الباحثون فى هذا الصـــدد (حيث نجتزىء بعضا منها) :

هل طبيعة العمل الفنى هو أن يكون صورة محاكية لما نشاهده فى العالم المرئى او انها تستند على الصورة التى لم يكن القصد منها ان تظل صورة معبرة عن الشـــكل فحسب ، بل كان التعبير يهدف منذ البدء الى مضمــونها الذى



مقاتل الثيران

ينبىء عن جوهرها وحقيقتها .. وهل هـــذه الحقيقة عامة فى حد ذاتها او ان المقصـود تلك المعانى التى تنطوى عليها والتىتشير الىماينتهى اليه تأمل الملاحظ المعاين ، او ان الغرض هــو الوصول الى مضمون لبعض الحقائق القائمة فى كل من العالم المادى والروحى على حد سواء .؟

وبصدد المحاكاة فهل يكون الفن فى حقيقته ممثلا للجمال الذى نشاهده فى الطبيعة ، أم ان الجمال فى الطبيعـــة شىء وفى الفن يكون شيئا آخر ... او انه مجرد محاكاة كما يقول فلاسفة الأغريق تبعا لمثاليتهم الجمالية التى تقـوم على مبادىء (الأيدياليزم) وباعتبار المحاكاة تمييزا للفن الجميل عن سواه .. !

ام انه لا يمثل الجمال ولا المحاكاة وانما هو الخبرة والخبرة فى حد ذاتها كما يدعى الفلاسفة الأخـــلاقيون من والتر بيتر وجـــون ديوى واضرابهم .. ؟

ما هو الابداع الفنى ؟

بعد ذلك يشرح لنا عمليـــة الابداع الفنى فيقول : « هو عالم الخلق والابتكار ولكنه ليس خلقا من عدم ذلك لأن الكائن الوجـــدانى الذى

تختلج صورته صدر الفنان وتعربد فى أعماق نفسه ، انما هو صدى لما يقع تحت حسه فى العالم المرئى من مشاهدات وانطباعات ، أو مايشاهده بعين العقل من أفكار وتأملات ، ومن هنا كانت ذاتيته وموضوعيته .. وان هذه الصورة لن تصل الى مستوى الخلق والابتكار، مالم تأخذ طريقها الى النضوج حتى تتضح معالمها وتتكامل عناصرها شكلا وموضوعا أو صورة ومضمونا أو مضمونا فحسب ، ذلك المثل للمعانى الجوهرية والحقائق الخالدة الكامنة فى الأشياء طبقا لتعدد وجهات النظر .

ثم يبين المؤلف بعد ذلك كيف ان الصورة الابتكارية للعمل الفنى لا تأتى اعتباطا ، لأنها تخرج من حيز اللاشعور الى دائرة الوعى والقصور كما تخرج الفراشة من شرنقتها (بعد مكابدة العديد من التفاعلات والتطورات) فى ذلك المظهر الخلاب .

الابداع من الوجهة السيكلوجية

عند ذلك يشرح المؤلف الابداع من الوجهة السيكولوجية فى ضوء علم النفس الحديث .. فيرى أن اللاشعور هو الينبوع والمصدر الفياض للابداع الفنى دون العقل الواعى الذى ليس من خصائصه الابتكار وانما تنظيم الأفكار ، بيد ان فرويد يشير الى ان البواعث والدوافع التى تدفع الفنان الى الابداع انما تكون بصدد عقدة اوديب وضغطها على الحياة النفسية لدى الفنان من ناحية وفى ضغط الواقع الخارجى عليه من ناحية أخرى .

هذا فى الوقت الذى يفسر فيه ادلر العقدة الأوديبية بتأويل آخر بعيد عن أى لون جنسى حيث يرى أن هذه العقدة انما تظهر كرمز لشهوة السيطرة ــ وفى تعليله للنبوغ يرى أن الدافع اليه انما يكون عن طريق التعويض ثم يبدى المؤلف بعد ذلك وجهة نظره فيما يتعلق بتطبيق هاتين النظريتين السالفتين لكل من فرويد وادلر فيقول :



اذا سلمنا جدلا بصحة النظريتين فاننا نستطيع القول بالنسبة للحالات المتباينة لدى الفنانين ، ان شخصية كل فنان ليست مسرحا لتمثيل هاتين النظريتين معا . بل ان ماقد ينطبق من احداها على البعض قد لا ينطبق على البعض الآخر .. وبالرغم من أن آراءهما وما يتبعها من نتائج تكون عرضة دائما للنقد سواء لبعضها البعض أو نقد العلماء الآخرين الا ان هذه الابحاث مع ذلك تقربنا بوسائلها التحليلية لفهم العوامل الخفية التى تلعب دورا كبيرا فيما نلمسه من الظواهر المختلفة الصور سواء من حيث الابداع والابتكار او التفوق فى الفن ..

التذوق الفنى

وإذ يحلل المؤلف موقف الفنان وحالته عند عملية الخلق الفنى ، ينتقل بعد ذلك الى موضوع التذوق الفنى فيقول : ان أول خطوة فى مجال التذوق هى اننا لا نكتفى بالنظرة العابرة للعين بل يجب ان نعيش فى الأشياء التى نلاحظها ونشاهدها امامنا ، ومع ذلك يكون مستوى التذوق بحسب قدرة المشاهد على استيعاب جميع الجوانب فيما يلاحظه فى مختلف نواحى الانتاج الفنى ، وهكذا يمكن لأولئك الذين نالوا حظا من تدريب العين والفكر بل والاحساسات كذلك ان يدركوا للوهلة الاولى فى الصورة القيم الجمالية للايقاع والتنغيم والانسجام فى التلوين .

الابداع والتذوق فى الفن المعاصر

وبالنظر الى التطورات التى حدثت فى الآراء الجمالية من جانب ، ثم التحولات الخطيرة التى شملت أساليب الابداع فى العمل الفنى من جانب آخر بظهور النظريات الحديثة فى نهاية القرن التاسع عشر فيما يتعلق بفنى النحت والتصوير مما جعل كلا من الابداع والتذوق فى الفن المعاصر يختلفان عن نظيرهما فى الفنون الكلاسيكية لذا أوضح المؤلف رأيه الشخصى بصدد ذلك التحول فيقول : بينما يعمل السواد الأعظم من الفنانين المعاصرين على اسقاط القيم الجمالية بوجه عام ، والباعث على ذلك انهم يفصلون بين الفن والجمال ، ولو اننى شخصيا اذا كنت اسلم بعملية الفصل بينهما (تلك التى يشير اليها الفلاسفة المحدثون) فذلك بالنسبة للظواهر التاريخية الفنية العارية عن الجمال فحسب ، ولكنى لا اسلم مطلقا بالفصل بينهما من جهة التطبيق والأداء ، فيما يقوم عليه كل انتاج وعمل فنى فى هذه الاتجاهات .. ! حيث يجدر بنا العمل على استبدال القيم الجمالية القديمة التى تحاكى أوضاع الطبيعة واشكالها فى كل من التخطيط والتلوين ، بقيم جمالية مبتكرة تتفق مع الاتجاهات المعاصرة ، دون ذلك التشويه المقوت الذى يحط من قدر الانتاج الفنى ويهبط بمستواه .

اما من ناحية التذوق فهو يرى ان المذاق فى الاتجاه المعاصر انما يكون مذاقا عقليا تامليا اكثر منه مذاقا عاطفيا حسيا .

البيئة الفنية وتطورها العلمى ..

ثم يتطرق المؤلف الى موضوع البيئة الفنية من ناحية تطورها العلمى وعلاقة الفن بالاتجاهات الفكرية الحديثة فيرى أنه بالرغم من حدوث ذلك التطور الخطير الذى ساد الفنون بظهور المذاهب المعاصرة الا ان صدى كل من البيئة العلمية والفلسفية لم يبلغ مداه الحقيقى الا فى مستهل القرن العشرين بظهور كل من الحركة الصوفية التجريدية فى المانيا ، والحركة المستقبلية حيث ظهرتا فى وقت واحد تقريبا حوالى عام ١٩١٠ بينما كان ظهور الحركة السيريالية فى أعقاب الحرب الأولى .

ولكى يوضح لنا المؤلف الفوارق القائمة بين الفنون الكلاسيكية والمعاصرة وكيف تطور الذوق فى أساليب التخطيط واستخدام الألوان ، اتخذ المقارنة وسيلة فى توضيح هذه الفوارق بين عدد من اللوحات يمثل بعضها الفن القديم لكل من



الباليه الروسى (١٩٢٥)

ليوناردو دافينشي وآنجر بينما يمثل البعض الآخر الإتجـاهات التقدميـة لكل من سيزان وجوجان وبيكاسو حيث نقتطف نبذة عن رأيه فى هذا الصدد يقول فيها : « نلاحظ عند المقارنة بين طراز هذه اللوحات ان بينهـا هوة كبيرة من التطورات التى مرت بأسـاليب التخطيط والتلوين منذ عهد النهضة حتى الآن وقد سارت بحذائها تطورات جمالية تأمليـة تترسم مراحل ذلك الوعى الفنى تلك التى يشتد فيها صراع الآراء حـول المفاهيم الجمـالية (وما يرتبط بها من القيم والمبادىء الأخلاقيـة والنفعية والميتافيزيقية) بعد ظهور الحـركة الرومانسية التى تعتبر بداية رد الفعل للأوضاع الكلاسيكية واخطر مرحلة من مراحل هـذا التطور ، لانها سـاعدت على وجود كثير من التحولات والحركات التى ادت فى النهـاية الى ظهور المذاهب الحديثة .

وهكذا استطاع المؤلف فى هـذه الجولة ان يكشف عن الكثير من جوانب الفن التى يكتنفها الغموض حتى يمكن للقـارىء أن يتوفر على الحقائق المتعلقة بطبيعة العمل الفنى سواء أكان فى الصورة الكلاسيكية والأكاديمية او فى الصورة الفنية المعاصرة ، وذلك قبل الدخول فى الشطر الثانى من هذا الكتاب وهـو الشـق المتعلق بالنظريات الجمالية المتطورة عبر العصور والتى شقت طريقها منذ العهود الهيلانيـة الى العصر الحديث والتى كانت ذات اثر فعال فى بنـاء الأسس والقواعد التى قامت عليها مذاهب الفن التقدمية المعاصرة .

الخطوط الأساسية لنظرية الجمال اليونانية

ثم يتحدث بعد ذلك عن الخطوط الاساسية لنظرية « الجمال » الأغريقية فيقول : ان التعبير عن هذه النظرية المتعلقة بالجمال قد اتخذ عن قصد من أجل المبادىء الثلاثة المرتبطة بعضها ببعض والتى تنظم الاطـار الخارجى للتـأمل اليونانى فيما يتعلق بالطبيعة وقيم الجمال .. حيث يكون مبدأ واحد منها أكثر ملاءمة للقب « النظرية الجمالية » ويعنى به «المبدأ الجمالى» أما المبدأين الآخرين فيمكن وصفاحدهما بالمبدأ الاخلاقى والثانى بالمبدأ الميتافيزيقى .

فالمبدأ الأخلاقى يشير الى ان العمل الفنى اذا كان ذا مضمون يقوم على فساد أخلاقى فانه يكون مؤديا الى مضاعفة امثلة الفساد كما يكون من شأنه تقوية الايحاء بالاغراء والاثارة .

اما المبـدأ الميتافيزيقى فهو يسـتند الى فلسفة أفلاطون المثالية فى نظريته عن « المثـال والصورة » بمعنى ان جميع الكائنات والموجودات لها فى عالم المثال صورة اتم واكمل مما تكون عليه صورتها الواقعية فى العـالم المادى حيث تكون الصورة الوجودية المثالية ثم الصورة الحسية الطبيعية وطبقا لهذا المبدأ الميتافيزيقى « ماوراء الطبيعة » تكون الصورة الحسية الطبيعيـة (العالم المرئى) اقل اكتمالا من الاولى وتقليدا لها وبذلك يكون عمل الفنان تقليدا ثانيا رديئـا لتلك الصورة المقلدة اى ان الصورة الفنية تكون اقل فى المستوى من الصورة المثالية والصـورة الطبيعية .

والمبدأ الجمالى بعد ذلك انما يعنى بانه لا يمكن ايجاد تفسير للجمال يتضمن اى صفات عميقة باكثر من تلك الوقائع الشائعة وهى الأشكال الطبيعية القائمة فى العالم المرئى والتى يستطيع ادراك الانسان العادى الوصول اليها كما أن الجمال الى جانب ذلك يقوم فى اشكال الطبيعة على اسس تجريدية ومعنى ذلك انه يستند الى اسس رياضية .

موقف افلاطون وارسطو من الفن ..

ثم يشرح المؤلف بعد ذلك موقف كل من افلاطون وارسطو من الفن فيقول فى هذا الصدد: اذا كان أفلاطون ينتقص من قدر الفنون باعتبارها تمثيلا للظواهر سواء فى الفن التشكيلى أو الشعرى ، فما ذلك الا لأنه يربط فيما بين الفن والمبدأ المتعالى على الحياة تبعا لمثاليته التى تتشكل بها آراؤه بصفة عامة فى الفنون . فقد كان بذلك من اول العاملين على الفصل فيما بين الفن والحياة او بعبارة اخرى انه يضحى بذلك الفن الممثل لمظاهر اشكال الطبيعة على مذبح فلسفته المثالية . وبينما كان كل من افلاطون وتلميذه اريسطو قد سلما بان التصوير والنحت او الشعر كلها جميعا فنون محاكاة ، فان كلا منهما قد اتخذ اتجاها مغايرا للآخر ، فكان أفلاطون يرى ان جميع هذه الفنون انما تعبر عن صور الظواهر السطحية العرفية الدائمة التغير والتحول ، دون التعبير عن الحقائق الجوهرية للأشياء فى الوقت الذى يرى أريسطو ان المحاكاة فى العمل الفنى حسبما دونها فى كتاب ألشعر ، بانها تبعث على المتعة عند رؤيتنا للأشياء المقلدة . ومنها تلك الأشياء ألتى قد تؤلمنا او تفزعنا عند رؤيتها فى الواقع .

أثر اراء أفلاطون فى الفن الحديث

ثم يوضح المؤلف الأثر البارز لآراء افلاطون وصداها فى الفن الحديث اذ يقول :

لقد كان لمحاجة افلاطون فيما يتصل بالفنون التشكيلية وخاصة فى النحت والتصوير أثر بالغ فى النظريات التى تقوم عليها الفنون المعاصرة بالاجمال وهو أن الفنان يجب ان لا يعنى بظواهر الأشياء ومعنى ذلك يجب ان يركز اهتمامه فى ابراز الفكرة القائمة وراء مظاهر الأشكال وأن تكون عنايته منصبة على جوهر الشىء بحيث تكون الأعمال الفنية معبرة عن مضمونات الأشياء دون اشكالها السطحية وبذلك اصبح المضمون هو الممثل للعمل الفنى ويعتبر من أبرز سمات الفن فى العصر الحديث .

رأى عمانويل كانت

وقد أوضح لنا بعد ذلك كيف ان الأداء الفنى المعاصر الذى ينحرف بالأشكال عن أوضاعها الطبيعية كان صدى لاتجاه تأملى آخر يكشف لنا عن امتداد فلسفة أفلاطون فى آراء الفيلسوف « عمانويل كانت » التى تتمثل فى نظريته عن « الشىء فى ذاته » والتى يقول فيها بأن الأشياء فى ظواهرها انما تختلف عن الأشياء فى حقيقتها ويعنى ذلك ان مظاهر أشكال الكائنات ومختلف الأشياء لا تعبر عن حقيقة هذه الكائنات وتلك الأشياء بحيث يكون جوهر الشىء ومضمونه مختلف تماما عن الظاهر الشكلى للشىء ، وأن ذلك الشكل السطحى انما هو ستار خادع ، قد يخفى وراءه حقيقة او معنى او جوهرا ذات صفات بعيدة كل البعد عما يعبر عنه ذلك الشكل السطحى ، الذى هو فى اغلب الأحيان قناع زائف يستتر وراءه مضمون الشىء .

الآراء الفيثاغورية وصداها فى فلسفة شوبنهور

الجمالية التجريدية ..

وبصدد الحديث عن الآراء الفيثاغورثية (لاتباع فيثاغورث) يرى المؤلف أن هذه الآراء بدورها كان لها صدى قويا فى فلسفة شوبنهور الجمالية التجريدية فى الأعمال الفنية التشكيلية على النحو الذى نجده فى التجريد الموسيقى ..

فلقد شرح المؤلف رأى شوبنهور فى أن جميع الفنون تطمح الى ما بلغتـــه الموسيقى « ذلك لأن هذه الفنون انما تحدثنا عن ظلال الأشياء ، بينما تحدثنا الموسيقى عن الأشياء ذاتها » حيث يرمى الى صفة التجريد التى للموسيقى وذلك باعتبار أن أصواتها المشجية لا تمت الى الاصوات الطبيعية بصلة ، وهى مع ذلك تمتع آذاننا فلم لا يكون الأمر كذلك فى الفنون المرئية ، وذلك بفضل القالب الطبيعى عن الأشياء حيث يعنى ذلك تجريدها عن أشكالها الطبيعية فى كل من اعمال النحت والتصوير .

ثم كانت خاتمة المطاف فى هـذا الكتاب عن التحليل الجمالى لبعض جوانب الفن التجريدى فيما يتعلق بالجمال فى الأوانى الخزفية ، حيث يرى المؤلف فى هذا الصدد ان التذوق لمثل هذه الأشكال التجريدية لايكون تذوقا عقليا بحتا وانما يكون هذا التذوق بالاضافة الى ذلك مشتملا على الأثر الحسى ولو بنسبة قليـلة طالما ان هـــذه الأشكال تكون ذات طابع جمالى .

تحليل ونقد الكتاب

وبعد ، فهذا الكتاب « الأصول الجمالية للفن الحديث » يبحث فى أثر الفلسفات القديمة فى الفن الحديث . وبعد العرض الســابق لمواد الكتــاب يتضح مدى الجهـد الذى بذله المؤلف فى عرض الآراء الجمالية للفلسفات القديمة وربطها بالآراء الحديثة فى الفن . كذلك نجح المؤلف فى توضيح الارتباط بين الفن الحديث وعلم النفس ، لهـذا — فان من رأينا — أن هذا الكتاب يدعم النظرية الحديثـة فى الفن التشكيلى ويؤكدها باظهــــار جذورها فى الفلسفات القـديمة ويدعمها أيضـا بنظريات العلم الحديث .

الا أن المؤلف مع تأييده للفن الحديث من حيث آرائه ونظرياته ، فانه يعترض على طريقة التطبيق عند بعض الفنانين — فهو يرى أن المغالاة فى التشويه والتطرف فى الألوان الى درجة التنافر والقضاء على الانسجام يجعل الأداء صورة شنيعة للقبح — لهـذا — فمن رأيه — عنـد التطبيق أن نستبدل القيم الجمالية المألوفة فى الفن القديم بقيم جمالية مستحدثة مع الاحتفاظ بالجمال .

اما عن تبويب الكتـــاب : فهو ينقسم الى شطرين ، اما عن الشطر الأول فهـو يبحث فى طبيعة الفن . وبعض التعريفات الفنيـة التى تمهد للقارىء لتذوق الشطر الثانى والخـاص « بأثر الفلسفات القديمة » . ويلاحظ ان هـذا الشطر — مع انه تمهيدى — قد اقتطع من الكتاب (١٥١ صفحة) من مجموع صفحـات الكتاب التى تبلـغ (٢٥٢ ص) — وفى رايى — انه كان يمكن ضغط القسم الأول وخاصة انه احتوى على موضوعات كثيرة اخشى على القـــارىء أن يتوه بينها قبل أن يصل الى صلب موضـــوع الكتاب .

وبهذا كان يمكن أن يتوسع المؤلف اكثر فى الشطر الثانى والخاص « بأثر الفلسفات القديمة فى الفن الحديث » .

وبالنسبة أيضا لتبويب الكتاب لاحظت أن عناوين الكتاب كلها — الرئيسية منها والثانوية — قد طبعت ببنط واحد — وهذا لا يعطى القارىء الاحساس بذاتية كل موضوع على حدة — لهذا فان تقسيم الموضوع الواحد الى عناوين رئيسية ببنط كبير وعناوين ثانوية ببنط صغير يســاعد القارىء على تتبع البحث براحة وانتباه .

واخيرا — فان هذا الكتاب مفيد لكل دارس لفلسفة الجمــــال بعامة وللفنون التشكيليـة بخاصة .

ولا شك أنه ضرورى لكل مكتبة فنية وايضا لمكتبات كليات الآداب .

صبرى على شريف

أبو زكريا الفرّاء

ومذهبه في النحو واللغة

تأليف

الدكتور أحمد مكي الأنصاري

الناشر : المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاشتراك مع دار المعارف

٦٧٠ ص ١٧×٢٤ • الثمن ١٥٠ قرشا

١ ـ هذا الكتاب رسالة جامعية نال بها المؤلف درجة الدكتوراه الممتازة مع مرتبة الشرف الأولى والتوصية بطبع الرسالة على نفقة الدولة تقديرا للجهود التى بذلها المؤلف ورغبة فى تعميم النفع بالمعلومات التى حوتها الرسالة ، وقد أثنت اللجنة التى ناقشته عليه وعلى عمله ثناء مستطابا وأشارت الى الحقائق التى كشف عنها البحث ولم تكن معروفة من قبل للدارسين ، كما قدم الكتاب الأستاذ عبد الحميد حسن . أحد أعضاء اللجنة فعدد المواطن الجديدة فى الرسالة وحمد لصاحبها حسن اختياره للفراء موضوعا للدرس وشكر له ما بذل من جهد فى درسه وعمق بحثه وسعة اطلاعه ، وقدر استقراءه المراجع حتى أنه لم يترك مرجعا ولا مصدرا يتصل بموضوعه ويصل اليه علمه الا ألم به واستخلص ما فيه بعد التمحيص والتعمق ووزن الآراء ونقدها .

هذا الثناء البالغ من اللجنة وصاحب التقديم جميعا يطالع القارىء أول ما يقرأ الكتاب فيبهر عينة بلألاء من الضوء خليق أن يعشيه عما عسى أن يكون به من مواطن الضعف ويوجهه فقط الى مزاياه ويجعله متجها الى أن يتقبل بسهولة كل ما جاء فيه من آراء وأن يوافق المؤلف دائما على ما يقول . ومراعاة لهذا الاعتبار وخشية التورط فى مجاملة علمية لا يحمدها النقد السليم ولا يرضاها النهج العلمى ذهبت اقرأ بعناية وأناة وأنا أقف عند كل موضع يشعر بالمتعة العلمية ولذة البحث لأتبين جوانب الضعف ومواطن الزلل حتى خشيت أن أكون أدنى الى التحامل اذ أردت البعد عن الاطراء وعسى أن يكون فى اعتمادى على نصوص الكتاب ورغبتى فى جلاء الحقيقة العلمية ما يجعلنى أقرب الى الانصاف وأدنى الى الحكم الصحيح .

٢ ـ لم يقف الكتاب عند درس حياة الفراء والتعريف بآرائه فى النحو واللغة ، وانما كان الفراء فيه محورا لدراسة واسعة تناولت جوانب متعددة من الفكر الاسلامى فى القرن الثانى الهجرى فى العراق وأيضا فى غير العراق ـ فقد كان المؤلف رغبة فى استيفاء البحث يقف عند كل موضوع تناوله الفراء يكشف عن الأفكار العامة لهذا الموضوع وموقف المعاصرين منها ثم يبين مذهب الفراء فيها ويوضح وجهة نظره ثم يزن رأيه كما يبدو له هو فيزكيه أو يعارضه ، ومن هنا تضخم الكتاب وكبر حجمه ـ ولكن المؤلف كان كثيرا ما يزكى صاحبه وقليلا ما يعارضه ، حتى ليبدو أنه لطول صحبته الفراء قامت بينهما صداقة جعلته يعجب به فى أكثر ما يعمل ولا يخالفه الا فى النادر القليل .

والذى اكسب ابحاث الكتاب جدتها وطرافتها هو اعتماده على الآثار المفقودة من كتب الفراء فقد قرأ عددا كبيرا من المخطوطات التى لم تكن بمصر ولم يكن الحصول عليها عملا هينا ـ كان قد علم أماكنها من بعض المستشرقين ومن كتب التراجم الحديثة فجد فى الحصول عليها بالطرق المختلفة التى ذكرها فلما قرأها أقر نسبة بعض منها الى الفراء ومنها ما كان ينفى عنه ونفى بعضا آخر

عنه وكان ينسب اليه — ولم يكن الحصول على هذه الكتب عملا هينا بل كلفه مجهودا كبيرا ومحاولات عديدة هون مشقاتها رغبته فى كشف الحقائق والاطمئنان على صحة المعلومات .

٣ — والكتاب مبنى على بابين اثنين تسبقهما مقدمة وتتلوهما خاتمة .

واحتوت المقدمة تعريف الكتاب وبيان منهج البحث فيه والدافع اليه وشيئا عن بعض مراجعه وطريقة حصوله على المخطوطات التى وصل اليها — اما الخاتمة فهى تلخيص لعالم الرسالة الكبرى وللأفكار الجديدة التى ألم بها ، واذن فقوام الكتاب هو هذان البابان .

والباب الأول يقع فى ثلاثة فصول ألم أولها بالحياة السياسية والاجتماعية والعقلية فى عصر الفراء ولم يشأ المؤلف الا أن تكون توفية للبحث واستكمالا لنظام التأليف — فهى معلومات مدروسة مستقرة ليست مجال بحثه ولا هى موضع تجديد وابداع — لهذا أوجز الحديث فيها واقتصر على أحداث السياسة الكبرى وعلى أبرز معالم الفكر المستجد فى هذا العصر .

وألم الفصل الثانى بحياة الفراء ولكنه أطال اطالة أدنى الى الاسراف حتى استغرق هذا البحث زهاء مائة وخمسين صفحة — وكان سبب هذه الاطالة ما فى حياة الفراء من غموض وما فى حديث المؤرخين والكتاب المحدثين عنه من اضطراب وتضارب ، فقد نسب الفراء الى غير قبيلة من قبائل العرب ، نسب الى اسد ومنقر وأسلم وقيل عنه مرة انه ديلمى واخرى انه كوفى وثالثة انه بغدادى ، وأكثر كتب التراجم قنعت بذكره وذكر اسم أبيه وجده بينما هو يريد أن يصل سلسلة نسبه الى قبيلته وأسماء أصوله مضطربة ايضا ، وهذا اللقب الذى يحمله قد يوهم أنه كان يصنع الفراء بينما هو صيغة مبالغة من فرى الشىء بمعنى قطعه لقب به لأنه كان يقطع مسائله بحثا وخصومة حجة — ومع هذا فأحد أجداده . يحمل لقبا قريبا من هذا اللقب أو يسمى « فرا يحب » .

كل هذه صعوبات صمد لها المؤلف صمودا كلفه كثيرا من البحث وعناه كثيرا من الصبر المرير وحمله على حد تعبيره ان يقوم برحلة شاقة بين سلاسل الأنساب من قبائل وبطون وأفخاذ وتهيب فى بادىء الأمر هذه الرحلة ولكنه قال لنفسه « اذا لم احقق نسب صاحبى وقد تخصصت له وتوفرت عليه فمن ذا يقوم به بعدى » ؟ .

وحقا عاد من رحلته الطويلة بما يقطع الاضطراب فى نسب صاحبه وفى نسبه وفى حقيقة تسميته .. فضلا عن انه راد هذا الطريق الوعر وكشف عنه ما كان يغشيه من ضباب كثيف .

وفى مثل هذا الاستقصاء الم بالجوانب المتعددة من حياة الفراء عقيدته ومذهبه الكلامى وأخلاقه وعاداته وتدينه وجوانب ثقافته ومدى اتصاله بمدارس الفكر فى عهده ... الخ ولا يقف عند ذكر هذه المدارس بل يتحدث عن صفات كل منها ويذكر لمحة من تاريخها لا يفعل هذا بمدارس النحو واللغة فقط بل يتناول فرق المتكلمين والشيعة وهكذا ..

ومن هذه الأبحاث ما هو غير وثيق الصلة بموضوع الرسالة ولكنه يتصل بشخصيته العلمية وتكوينه العقلى ومثل هذا البحث مهم فى رسالة جامعية ولكن كان تقديم المعلومات الاجمالية عن هذه المدارس .

واستبقى بعض هذه المسائل لأناقشه فيما بعد .

وفى الفصل الثالث تحدث عن آثار الفراء . ما هو موجود منها وما هو مفقود ، وهو بحث من صميم الرسالة ومن أهم ما تقوم عليه ، وفيه معارك عنيفة للمؤلف ومستكشفات قيمة — وسنلم بطريقة درس المؤلف لهذه الآثار ونقدم نموذجا لها .

والباب الثانى يقع فى فصلين تحدث أولهما عن مذهب الفراء فى النحو وتحدث الثانى عن مذهبه فى اللغة .

وفى هذا الباب بفصليه كشف عن جهود الفراء فى درس النحو وجمع اللغة وبين انه امام كبير من أئمة اللغة والأدب وانه مدرسة وحده فى النحو وان آثاره كانت نهبا لكثيرين اشتهروا بها دونه .

وهـــذا الباب هو قمة البحث وفيه أعنف معاركه وأقوم مستكشفاته وفيه وضح أن الفراء هو الرائد الأول لتيسير النحو وأن آراءه فى هذا الميدان هى امام الميسرين فى العصر الحديث .

٤ ـ صنف كتب الفراء الى قسمين موجود ومفقود .

أما الكتب الموجودة فقد درس كلا منها على حدة دراسة واعية حصيفة ـ وأما المفقودة فقد ذهب يتصيد ما كتب عنها وما قيل فى وصفهـا أو قيمتها العلمية أو الطريقة التى ألفت بها وما تحوى من معلومات ... وعمله وصفى فقط قصـاراه جمع أقوال السابقين والموازنة بينها ومحاولة التعرف منهـــا على قيمـــة الكتاب ومحتوياته ـ وهو حكم تقريبى فقط لا يعطى حكما دقيقا على عقلية الفراء ولا قيمة الكتاب ، ولكن لا يستطيع المؤلف أكثر من هذا وهو دائما يبدى أسفه لعدم تمكنه من عمل شىء أكثر جدوى وأقوم فائدة .

ويشعر القـــارىء أن نصب المؤلف فى هذا العمل كلفه مجهودا لا يقل عن درس كتاب موجود وقد أورد للفراء تسعة وعشرين كتابا مفقودا . تحدث عن كل منها بقدر ما وسعه الحديث .

وأول ما يبدأ به من درس الكتاب ـ مفقودا أو موجودا ـ أن تحقق نسبته الى صاحبه ، وفى الكتب الموجـــودة لا يكتفى فى التحقيق بالأدلة الخارجيـــة من أقوال المؤرخين أو وجود اسم الفراء بظاهر الكتاب وانمـــا يعتمـد على درس الكتاب نفسه وبيان ما يتفق فيه وآراء الفراء فى كتبـه الأخرى وما لا يتفق ومدى ملاءمة أفكاره للفراء أو عـــدم ملاءمتها فاذا اطمأن الى صـحة نسبه ذهب يدرسه على أنه حكم صحيح على علم الفراء وعقليته .

وبهذه الطريقة نفى عنه كتبا كانت مثبتة له وأثبت أخرى كانت منفية عنه على نحو ما ذكرت من قبل .

من أمثلة جهـوده العنيفة فى بحث الكتب والبحث عنها موقفه من كتاب « الفاخر » : فقد ذكر بروكلمان أن للفراء كتابا فى الأمثال يسمى الفاخر وأنه موجود بمكتبة استامبول . فجـد المؤلف فى الحصول عليه بطريقة أو بأخرى فاذا هو قد نقل بالرقم نفسه الى مـكتبة « الفاتح » وحصل على صورة منه وبقراءتها تبين أن الكتاب ليس للفراء وانما هـــو لمؤلف آخر هو المفضل ابن سلمة صـــاحب الفراء ـ والى هنا أصبح الكتـــاب خارجا عن دائرة البحث ولكن المؤلف لا يدعه وانما يقيم حوله دراســة وبحثا طويلا فيثبت أولا أن صـــاحب الفراء هو سلمة والد المفضل وأن المفضـــل هذا قد التبس عند بعض الناس بالمفضل الضبى فيبحث فى تاريخ المفضلين ليثبت أيهما صاحب الكتاب حتى اذا كشف أنه لابن سلمة لا للضبى راح يبحث بحثا فرعيا ثالثا هل ابن سلمة هذا يتصل ببنى ضبة حتى يصح أن يسمى ضبيا أم هو مجـــرد التباس لشهرة الضبى دونه فاذا فرغ من هذا عاد يتقفى حركة النسخة التى حصل على صورتها فيخبرنا بأنها استقرت أخـــيرا فى مكتبة السليمانية بالرقم نفسه ، وأخـــيرا يذكر أنه لا يأسف على الجهد الذى بذله والزمن الذى أنفقـــه بسبب غلطة « بروكلمان » بل يذكر غبطته بالحقائق التى انتهى اليها وهى حقـــائق كما ترى بعيدة عن موضوع الرسالة . ولكنه الاخلاص للعلم وتفان فى البحث عن الحقيقة .

٥ ـ وكنموذج لدرس الـكتب التى حصل عليها وحقق أنهـــا للفراء اكتفى بعرض كتاب « الأيام والليالى والشهور » .

هذا الكتاب مطبوع حققه وعلق عليه الأستاذ ابراهيم الأبيارى وقدم له مقدمة طويلة ذكر فيها مشقة القيام بهذا العمل ورأى أنه يكفيه أن يقوم بتحقيق كتاب واحد للفراء .

وكان المؤلف قبل ظهور هذه الطبعة معنيـــا بدرس الكتاب ولديه نسخ مختلفة منها فلما ظهر مطبوعا اكتفى بما كتبه الأستاذ الابيارى فى وصف النسخ المخطوطة عدا أشياء قليلة رأى أن ينبه عليها كما عرف بأماكن النسخ المخطوطة ووصف كل واحدة منها فى ايجاز .

واتجه بعد هذا الى درس الكتاب .

بدأ بتوثيقه وتحقيـــق نسبته للفـــراء على مألوف عادته . وكان الأستاذ الابيارى فى مقدمته

والمستشرق الروسى « كراتشكوفسكى » فى مقال له قد نفيا أن يكون الكتاب للفراء أو أن يكون له كتاب بهذا الاسم فما موقف الدكتور مكى اذن ؟ .

نظر قبل كل شىء فى الشبه التى قامت فى ذهن كل منهما ليؤيدها أو يفندها .

أما كراتشكوفسكى فكان قد اطلع على نسخة خطية ضمن مجموعة عربية بمكتبة سانت بطرسبرج – لينينجراد – ووجد كتاب الأيام والليالى الذى بها منسوبا الى أبى عمر الزاهد فظن أنها نسبت للفراء خطأ لأن الفراء أحد رواتها لهذا أسرع فنفاها عنه أولا ثم نفى أن يكون له كتاب بهذا الاسم ثانيا – وكان المستشرق « ريتر » وجد نسخة أخرى فى مكتبة « سليم أغا » باستامبول منسوبة الى الفراء فأعلن عنها – ولكن كراتشكوفسكى راح فى تسرع ينافى دقة العلم – يبدى أدلة يراها كافية فى نفى الكتاب عن الفراء ونفى أن يكون له كتاب بهذا الاسم – وكان من أهم أدلته أن الفراء يرد فى رواية النسخة التى رآها آخرا فى سلسلة الرواية لا أولا ومنها أن كتاب « العشرات » الذى رواه ابن خالويه عن أبى عمرو يؤيد نسبة الكتاب اليه .

ورأى المؤلف أن هذه الأدلة لا تكفى ما دام كراتشكوفسكى لم يطلع على النسخة التى باستامبول لأنه من المألوف فى هذا الوقت أن يؤلف عدد من الناس كتبا باسم واحد وقد وجد فعلا عددا من الكتب باسم الأيام وباسم الأيام والليالى لمؤلفين غير الفراء وغير أبى عمر . ولهذا همه أن يحصل على النسخة التى باستامبول – وقد وجد سند روايتها يخالف سند النسخة الروسية وأن الكتابين فى محتوياتهما أيضا يختلفان وأن الوصف الذى ذكره « كراتشكوفسكى » لنسخته يوضح فرقا بعيدا بين الكتابين .

واذن فالكتابان مختلفان والفراء صاحب النسخة التى معه اذ لا يوجد ما ينفيها عنه ودراستها أيضا تؤيدها .

ولم يكتف بهذا بل أراد أن يحصل على صورة من المجموعة العربية الروسية وقد أخفق مسعاه من قبل فلم ييئس ولا يزال يجد فى الحصول عليها .

وأما الأستاذ الأبيارى فقد قلد هذا المستشرق أولا ولكنه راح يعزز الفكرة بأثارة شبهات أخرى .

منها أن خمسة من أصحاب كتب التراجم هم ابن النديم والقفطى وابن خلكان وياقوت والسيوطى لم يذكروا هذا الكتاب للفراء ومنها أن كتب اللغة وما اليها لا تنقل نصا واحدا معزوا للفراء ولو أنها فعلت لمالت به الى التفكير فى أن للفراء كتابا فى هذا الميدان .

ورد الدكتور مكى أولى الشبهتين بأن سكوت المؤرخين عن نسبة الكتاب اليه لا يعنى نفيه عنه – ومع أن السيوطى لم يذكره فى بغية الدعاة ذكره فى المزهر ونقل عنه نصوصا كثيرة وأورد الدكتور مكى هذه النصوص – وزيادة على ذلك يورد أيضا أسماء خمسة آخرين من القدامى والمحدثين نسبو الكتاب للفراء .

وبنقل هذه النصوص عن المزهر يكون قد نفى الشبهة الثانية . لكنه يعزز هذا الدفع بنقول أخرى عن «صبح الأعشى» وعن « الأزمنة والأمكنة » للمرزوقى .

وهكذا يمضى فى تفنيد شبه الأستاذ الأبيارى الأخرى – وقد بلغت شبهه خمسا – فيفندها واحدة واحدة .

ويمضى الدكتور الشاب فيستدرك على أستاذه أخطاء أخرى منها وهمه فى تحقيق ميلاد الفراء ومنها ظنه أن بكتاب الأيام والليالى الذى حققه نقصا ومنها خطؤه فى شرح عبارة للفراء . ولا بأس أن نلخص النقطتين الأخيرتين .

أما ظنه نقص الكتاب فسببه أنه وجد العبارة التى انتهى بها لا تؤذن بانتهائه وقد رجع الدكتور مكى الى الأصول الخطية فوجد بعد العبارة التى انتهى اليها الأستاذ الابيارى عبارة طويلة فيها ختام الكتاب والايذان بانتهائه . فالكتاب اذن كامل غير منقوص .

ويعقب الدكتور مكى على هذا كله بالتماس العذر لدارسى آثار الفراء نظرا لصعوبة المراس فى معالجتها عامة ومعالجة هذا الكتاب خاصة . أدب جم يضاف الى الاخلاص للعلم !!

وينتقل بعد هذا الى تقديم الكتاب وتقويمه .

ويظهر درسه الكتاب انه يمثل حلقة من مراحل التطور من كتب اللغة وهى الحلقة التى سبقت وضع المعاجم وأن هذا الكتاب وامثاله كان عونا لمؤلفى القواميس اللغوية وقد فاتت منها فائتات أحصى هو منها قدرا لا بأس به .

هذا النموذج من درسه آثار الفراء يوضح ما ذكرت من قبل من ان عمله يقوم على المعارك العنيفة المتواصلة .

٦ — واذا انتقلنا الى الحديث عن الفراء النحوى واللغوى وهو أساس الكتاب وأصل الدراسة التى قام عليها نجد أنه من الحتم أن نرجع الى كتابه « معانى القرآن » فقد تضمن معظم آرائه النحوية واللغوية ويزيده قيمة أن كتب الفراء النحوية واللغوية غير موجودة .

هذا الكتاب يمثل قمة الثقافة عند الفراء وسعة العلم ونضج الفكر . الفه وهو فى سن الستين أو ما حولهاوهو أولتفسير وصلنا يجمع مع شرح الآيات دراسات لغوية ودراسات نحوية ويذكر القراءات ويحتج لها ويبين أسباب النزول ورسم المصاحف واختلاف هذا الرسم وأسبابه — وهو أول كتاب بحث نظرية الموسيقى القرآنية وأثر النغم الصوتى وتنظيم الفواصل وأول كتاب بحث فى التشبيه بمعناه البلاغى وأول كتاب بحث فى الاعجاز اللفظى للقرآن الكريم . هذا مع ما جمع من مصطلحات نحوية وشروح لغوية . ويثبت عمل الفراء فيه أنه سبق بمصطلحات النحو ابن السراج .

وهذا الكتاب موسوعة علمية أو دائرة معارف للفراء كما يقول المؤلف .

ولسنا نقف مع هذا الكتاب لوصف عمل المؤلف وبيان دراسته وحسبنا أنها استغرقت ما يزيد على مائة صفحة — وعلى عادة المؤلف خالف فى تحقيقاته كلا من بروكلمان والمرحوم أحمد أمين كما خالف الأستاذين اللذين نشرا الجزء الأول من هذا الكتاب . وانما يعنينا اكثر من هذا أنه تصيد منه آراء الفراء النحوية التى لم يجمعها كتاب وصل الينا وكانت مبعثرة فى كتب اللغة وأكده ينسب للكوفيين بوجه عام مع انه هو صاحبها .

وبعض آرائه فى هذا الكتاب كانت مددا للجاحظ وابن قتيبة وابن جرير الطبرى وابن مضاء القرطبى اشتهروا بها دونه وبقى هو — وهو صاحبها — لا تنسب اليه .

٧ — ويطول بنا الحديث لو وقفنا عند كل مسألة من هذه المسائل نحللها ونبين مدى ما للفراء من أثر فيها ومدى تطورها ونموها بعده ولكن فى مقام الدراسات النحوية ننظر فى مشكلة تيسير النحو لأنها مما يشغل بالنا فى الوقت الحاضر .

وكان المرحوم ابراهيم مصطفى من أشد النحويين المعاصرين شغلا بهذه المسألة وهو من نحو ثلاثين عاما أخرج كتابه احياء النحو فبناه على نظرية حذف العامل وحذف العلل الثوانى والثوالث من قواعد النحو وادماج القواعد الفرعية الدقيقة فى ابواب واسعة تسهيلا للدرس على الناشئين ووجد فى نحو الكوفيين الذين لا يتشددون فىالقياس ذريعة لما أراد — وهو يعيب النحويين أو على الأصح البصريين تأثرهم باصطلاحات الفلسفة واسرافهم فى الاعتماد عليها اسرافا أفسد النحو وذهب ببهائه كما جعلهم يهملون العناية بمعانى الكلام مشغولين بأمور ليستذات قيمة حتى أنهم تصوروا عوآملالأعراب أشياء مجسمة لها فاعلية وتأثير . وجاءت فى كتابه اشارة عابرة للفراء . وأصحابه اذ هم يرفعون المبتدأ بالخبر لا بالابتداء فرارا من الاعتماد على العامل الذى لا يظهر ولا يعمل .

وبعد ذلك بأكثر من عشرة أعوام عثر الدكتور شوقى ضيف على كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبى الذى عاش فى القرن السادس الهجرى وهو يتفق مع « احياء النحو » فى مسائل وأبواب كثيرة فضلا عن الروح العامة التى تنتظم كلا الكتابين من الحمل على العلل الخفية والعوآمل المقدرة التى تزيد قواعد النحو

ثقلا ويقول ابن مضاء انه يريد أن يحذف من النحو ما يستغنى النحوى عنه ــ ورد الدكتور ضيف هذه النزعة عند ابن مضاء الى تأثره بالمذهب الظاهرى الذى ساد هناك فى هذا الوقت . ويظهر ذلك فى تعليله رفع المبتدأ والفاعل فيرى أن الذى يحدث هذا الأثر هو المتكلم أما الابتداء والفاعلية أو الخبر والفعل فانها الفاظ لا تعمل شيئا .

ولشدة التوافق بين الكتابين راح بعض التسرعين يتهم ابراهيم مصطفى بالأخذ عن ابن مضاء .

أما الدكتور مكى فقد كشف أن ابن مضاء يعتمد على آراء الفراء وينتحلها لنفسه وأن رده على النحاة انما هو كلام الفراء سطا عليه فانتحله لنفسه ولم ينسبه لصاحبه ــ ويعلل ذلك بشيئين رغبة ابن مضاء فى الظهور بمظهر المجدد الثائر على القديم من ناحية وللعداء المستحكم بين المغاربة والمشارقة فى هذا الوقت من ناحية أخرى وكان من شأن هذا العداء أن يحول بينه وبين الجهر بهذا الأخذ اذ كان يهم المغاربة أن يظهروا بمظهر الأنداد للمشارقة أو المتفوقين عليهم .

وليس لهذا التعليل ما يعارضه بل هناك مرجحات تؤيده . فكتاب معانى القرآن للفراء كان له خطره منذ ظهوره وقد بين الدكتور مكى نفسه مدى تهافت الناس عليه ومغالاة الوراقين فيه ولا يمكن ألا يكون انتقل الى المغرب ، وفى وقت ظهوره لم يكن هذا العداء قد ظهر بين الجماعتين ، وفى كتاب معانى القرآن من قواعد النحو ما يكفى لتكوين هذه الأفكار ثم أن ابن مضاء انما تعلم النحو من المشارقة ولكنه تعلم النحو البصرى المسرف فى الاكثار من القواعد مما دعاه الى التخلص منها .

وأما غضبة المغاربة على الشرقيين وميلهم الى منافستهم فقد ظهرت من قبل ذلك ولكنها لم تمنعهم عن الأخذ منهم من جهة ومن جهة اخرى لم يستطيعوا أن يتخلصوا من تقليدهم ــ ولعل ثورة ابن بسام صاحب الذخيرة ــ على تقليد المشارقة تعطينا مثلا واضحا لهذا اذ هو نفسه كان صورة شرقية خالصة حتى فى تقسيم كتابه ومنهجه فضلا عن أفكاره ومعلوماته .

وكلام الدكتور مكى لا يتضارب مع تعليل الدكتور شوقى ضيف بل لكل من التعليلين مجاله .

كما أن هذا البحث يظهر أن المرحوم ابراهيم مصطفى لم يستق أفكاره من ابن مضاء ولكن كلا منهما أخذ عن النحو الكوفى أو على الأصح أخذ عن الفراء .

والحق أن الدكتور مكى كشف عن حقيقة كاد يجهلها دارسو النحو جميعا وهى أن آراء الفراء فى النحو نسبت الى الكوفيين وأهمل صاحبها .

٨ ــ والأساس الذى قامت عليه شخصية الفراء الفكرية هو التحرر وطرح التعصب المذهبى ــ فهو لا يتقيد بمذهب معين وانما يأخذ فى ميدان التفكير العقيدى من أهل السنة ومن المعتزلة ومن الشيعة ويأخذ فى ميدان اللغة من النحو الكوفى ومن النحو البصرى ولا يكتفى بالأخذ وانما يزيد على عملية المزج ما له هو من فكر خاص لم يعرفه أولئك ولا هؤلاء .

هذه الفكرة ألح عليها المؤلف وبنى عليها أهم آرائه فى الفراء ولا نخالفه فيها وانما نخالفه فى بعض ما رتبه عليها .

من ذلك أنه يرى أن الفراء رائد الاشاعرة لأنه جمع بين مذهبى أهل السنة والمعتزلة وهذا العمل هو ما فعله الأشعرى . فهو . مؤنس بالفراء . والمؤلف يقرر هذه الفكرة بشىء من التهيب ولا أستطيع أن أوافقه عليها ــ فلأبى الحسن الأشعرى دوافعه الخاصة التى حدت به الى عمله وفارق الزمن بعيد بين الرجلين والفراء مع تعاطيه الفلسفة فى كلامه ليس صاحب مذهب كلامى فهذه الفكرة أدنى الى مجاملة الفراء .

أما الذى لا يخالف فيــه وهو قيم حقا فهو كشفه أن الفراء مؤسس المدرسة البغدادية وأنها نشأت عن اختياره من هــــذا المذهب وذاك وقد تتبع نشأة هذه المدرسة وبين أنها لم تظهر ظهورا مميزا لشخصها الا على يد الفــــراء . وهذا من الجديد فى هذا الكتاب .

٩ – ومن جديد هذا الكتاب اثباته ان الفراء اسبق النحاة الى وضع المصطلحات النحوية فهذا عمل لم يظهر عند الخليل ولا عند سيبويه وكان المفهوم أن ابن السراج هو مجلى هذا الميدان . ومنه ان الفراء أول من نادى بمبدأ الاعجاز اللغوى فى القرآن الكريم وانه كان يتصدى للنظام ومن شـــايعه فى فكرته من منكرى هــذا الاعجاز ، وقد ذكرنا من قبل فــكرته عن أثر الموسيقى اللفظية فى القرآن والتوافق الصوتى للفواصل وهى فــكرة اســـتفاد منهــا كل من الجاحظ وابن قتيبة .

ومن جــديد الفراء انه أول من تصدى لبيان أثر اللهجات القبلية فى اللسان العربى وهـــذا البحث يفتح المجال لشىء آخر وهو أثر اللغات السامية الأخرى فى اللهجات العربية وكنت أود لو التفت المؤلف الى هذه الفكرة – وقد سبق الفراء أيضا الى اعتماد الحديث الشريف حجة فى النحو واللغــة وكان المستشرق يوهادفك يظن أن ابن خروف أســبق منه أو من السابق فى هذا ولم يتجه نحو الفراء أصلا .

وقريب من هذا ما ذكره عن ابن خلكان من أن كتاب البهى أو البهـــا للفراء هو أصل كتاب الفصيح لثعلب – اذ ليس له فيه الا الترتيب وشىء يسير – وهـــذه المسألة ينقصها بعض التحفظات ما دمنـا لم نر الكتابين وان كان ابن خلكان غــير متهم كما يقول – والأولى تنسب هذه المسألة الى ابن خلكان وكفى .

وقريب منه أيضا ما أخذه على الطبرى شيخ المفسرين من أنه يعتمد على معانى الفراء وكثيرا ما يأخذ عبارته وشواهده ومع هذا يعيبه ويسخر من كلامه – وقد كسا المؤلف هذه المسألة ثوبا فضفاضـــا حتى انه يرى أن ثورة الحنابلة على الطبرى انما هى انتقام من الله للفراء وهى فكرة كما ترى . ولا ننازعه فى أخذ الطبرى من الفراء ولكن كاد ينقصه الشواهد المقنعة اذ لم يذكر غير شاهد واحد وهو غير كاف .

وقريب من هذا ثالثا ما رآه من أن ابن قتيبة امتص معانى الفراء واعاد الكتاب فى ثوب جديد له باسم – تأويل مشكل القرآن – وهى دعوى ينقصها أيضا الدليل الكافى وهو نفسه يشعر بهذا لكنه يسوق الفكرة لينبه اليها الدارسين .

ومنه – رابعا – وهذا يرجع للمؤلف لا للفراء – اشادته بتحقيقه مولد الفراء ومماته – والتاريخ الذى استقر عليه هو ما ارتضاه صاحب الأعلام – وللمؤلف فقط تحقيق هذا التاريخ وقطع الشك فيه وكنت أود لو ظفر الاعلام منه باشارة فى هذا الموضع وهو من مراجعه .

١٠ – ومع اعجاب الدكتور مكى بصاحبه لم يعفه من النقـــد بل أخذ عليه عدة مآخذ اهمها تمسكه بالقياس حتى يخالف به المسموع وافساده مدرسة الكوفة بهذه الطريقة وانه بقياسه يخطىء العربى فى لغته الى مآخذ اخرى ذكرها .

أما بعد فان هذا الكتاب ما زال بحاجة الى الحديث عنه وكل ذلك بطبيعــة الحال لا يغنى دارسى اللغويات والنحو عن الرجوع الى الكتاب . وهو كما قلت دراســة واسعة يقوم الفراء فيها مقام المحور الذى تدور عليه الأبحاث .

عبد الجليل مغابى

ثائر من الصومال

تاريخ أمتنـــا العربية تاريخ حافل بأسماء نادرة قادت شعوب هذه الأمة فى مختلف الميادين . ففى نواحى الفكر والفلسفة والعلوم والفقـــه والدين نجد الكثير من الأسماء التى لمعت ليخلدها التاريخ . كما يحدثنا تاريخ هذه الأمة عن ابطال قادوها فى معارك الشرف والبطولة ضد عوادى الزمن ودفعوا عنها غوائل الطامعين، واستخلصوا لشعوبها حريتها وكرامتها من عدو غـــاشم أو حاكم باطش .. فمنهم من كتب لهم النصر .. ومنهم من أوقد الجذوة ليحملها بعده الآخرون .

وموضوع هذا الكتاب يحدثنا عن بطل عربى أفريقى .. قاد شعبه ضد الاستعمار حوالى الربع قرن فى نضال مرير قضـــاها مدافعا عن قضية تحرير بلاده والقضاء على أعدائها ..

عاش الملا ـ محمد بن عبد الله الحسن ، ليتزعم ثورة الصومال ضد السيطرة والتحكم الأجنبى . وليكمل بذلك السلسلة التى بدأ حلقاتها أحمد عرابى فى مصر ، واكملها محمـــد أحمد المهدى فى السودان والتى هدفت الى اجلاء القوات الأجنبية الاستعمارية عن الأراضى العربية ..

شب الملا ـ محمـــد بن عبد الله الحسن عن الطوق ليجد الصومال العربى فريسة لأطماع هذه الدول ؛ كل يريد أن يستخلصها لنفسه ويستأثر بخيراتها دون غريمه .. فكيف حدث ذلك .. ؟

جاء هذا التحول السريع فى سياسة التسابق الاستعمارى الأوربى على امتلاك أجزاء من أفريقيا منذ عام ١٨٨٠ .. ففى هذه السنة بدأت الدول الأوربية تدخل مبدأ امتلاك اجزاء من هذه القارة فى نطاق سياستها .. فاخـذت هذه الدول فى بســط ســلطانها على أجـزاء فى أفريقيا .. فاستعمرت بلجيكا الكونغو ، واحتلت فرنســـا تونس ، ودخلت انجلترا مصر ، وهكذا .

وانتقل نشاط هذه الدول وغيرها الى مناطق غربى البحر الأحمر وساحل افريقيا الشرقى ..



تأليف : عبد الصبور مرزوق
الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر
٢٢٣ ص ١٧×٢٤ سم • الثمن ٣٠ قرشا

ففى هذه الجهات تركزت العمليات التوسعية الجديدة فى المناطق التى كانت تديرها مصر ف ساحل الصومال ، وهرر واقاليم شرق السودان بعد أن انحسرت عنها هذه الادارة نتيجة للاحتلال الانجليزى لمصر .. ولقد أسرعت كل من بريطانيا وايطاليا وفرنسا الى محاولة اقتطاع اجزاء من هذه الجهات . وكانت أول آثار هذا الاتجاه الجديد فى السياسة الاستعمارية الأوربية ان تشابكت مصالح هذه البلاد فى منطقة واحدة تعد من اهم المناطق الاستراتيجية فى أفريقيا . وبدأت أهداف كل من البلاد الثلاثة تتعرض لخطر الانهيار نتيجة لهذا الاحتكاك .

ووسط هذه الدوامة الهائلة من الصراع ، قاد الملا محمد بن عبد الله الحسن مواطنيه فى ثورة وطنية ضد قوى الاستعمار ، وكان كفاحا مريرا ، استمر لفترة طويلة .

وحركة مهدى الصومال الثورية ، صادفت كما صادفت غيرها من الحركات التحررية الكثير من التشوية والتلفيق . لقد رأينا كيف صور الاستعمار لنا حركة عرابى التحررية الوطنية .. وكيف رسم لنا شخصية المهدى والثورة المهدية .. لقد اظهرهما فى غير صورتهما الحقيقة ، ليقلل من أهميتهما ويمحو صور البطولة والهالة المفروض وجودها من العقول . وهذا بالضبط ما فعله الاستعمار مع مهدى الصومال وثورته لقد أظهره فى شخصية الرجل المتهوس وحركته الثورية بالهمجية والطيش ، وسجل مؤرخوه وكتابه فى كتبهم هذه الوقائع الكاذبة ليجعلوا منها حقيقة تسىء الى هذا البطل المكافح وتضيع معالم كفاحه . ولم تر سيرته وثورته النور الا على لسان شهود العيان وقليل من الكتاب المنصفين الذين أوردوا بعض الحقائق عنه . أما الكتاب الوطنيون فقد فرض عليهم الاستعمار رقابة شديدة لحصار انتاجهم .

* * *

ومما يجعل لهذه الفترة التى عاشها مكافحا محمد بن عبد الله الحسن أن مصر لعبت دورا هاما فى تاريخ الصومال الحديث . فقد شملت الادارة المصرية بعض أجزاء الصومال فى القرن التاسع عشر ، فعملت على نشر التعليم فى البلاد وانشأت المستشفيات ونشطت التجارة فعم الرخاء وظهرت بوادر نهضة فى الصومال لم يشهدها شعبه من أمد طويل . فلما أرغم الاستعمار المصريين على الانسحاب ، وحل الغاصب الأوربى محل الأخ المصرى كان وعى الصوماليين قد اكتمل ، ولم يخف عليهم الفرق الشاسع بين الادارة المصرية التى كانت تأخذ بيدهم وترعى مصالحهم وبين بطش المستعمر وأساليبه الاستغلالية وأنانيته التى لا حد لها .. لذلك كانت فترة الادارة المصرية — على قصرها — من العوامل الفعالة فى اذكاء الشعور الوطنى فى الصومال وتصميم الشعب الصومالى على عدم الخضوع للأجنبى ..

وكان جهاد بطلنا محمد بن عبد الله الحسن انعكاسا طبيعيا لهذا التصميم . فلم يرض لبلاده أن تستسلم بخنوع للغاصبين ، بل قاتلهم « بنية صالحة ، وايمان قوى ، وعزيمة لا تعرف الملل » لقد استشهد البطل فى ساحة القتال ، ولكن الكفاح الذى غرس بذوره لم يلبث أن آتى ثماره بعد أن خارت قوى الاستعمار فى الحرب العالمية الثانية ولم تستطع الصمود أمام التحرر الجارف الذى ساد العالم فى السنوات الحديثة .

* * *

وبرغم قرب احداث ثورة الملا التى تكاد تكون معاصرة ، الا انها ظلت تائهة بين الحقيقة والتضليل وكل المحاولات التى بذلت لاخراج تاريخ صحيح لثورة الصومال ضد الاستعمار فى أواخر القرن التاسع عشر وتاريخ قائدها ، محاولات اجتهادية جانب بعضها التوفيق ، وسارت تهدى الغير الى الحقيقة التى سوف تظهر فى يوم من الأيام ناصعة مشرقة ، يفخر بها العرب عامة ، وعرب الصومال خاصة ،

ولتكمل هذه السيرة ، سيرة عرابى وثورته فى مصر ضد الاستعمار البريطانى ، والمهدى وثورته فى السودان ضد هـذه القوة التى أرادت فرض سيطرتها على وادى النيل .. لتكون سيرة هؤلاء الأبطال وغيرهم أسـطورة المستقبل التى تروى للأجيال المقبلة .

* * *

والدعوة التى ارتفعت منذ أعوام قليلة عن ضرورة اعادة كتابة تاريخ الأمة العربية من وجهة النظر الوطنية ، لتصحيح ما علق به من زيف وتشويه دعوة جديرة بالعناية الكاملة . وما كتبه الأستاذ عبد الصبور مرزوق فى هذا الكتاب يعد تطبيقا عمليا لهذه الدعوة .. وتمشيا مع الخط الوطنى الذى يجب نهجـه فى عهد الاستقلال والتحرر .

لقد اختار المؤلف موضوعا لبطل عربى أفريقى أسهم بدور مشـكور فى رفع الظلم عن مواطنيه وتحرير بلاده من السيطرة الأجنبية .. بدأ كتابه بالحديث عن مولد محمـد بن عبـد الله حسن ونشأته ، والظروف التى عاشتها بلاده آنذاك . ثم انتقل الى الحديث عن استعداده للكفاح ضد المستعمر ، وبعد ذلك روى فترات هـذا الكفاح وما تخللهـا من نصر وهزيمـة ، ومؤامرات الاستعمار لتخريب المكاسب التى حصل عليها واعتماده على عنصر الخيانة ..

وكيف وقف ثائر الصـومال فى وجـه هذه الدسائس والفتن بصلابة وأصرار .. حتى كانت المعركة الكبرى التى دارت بينـه وبين القوات الاستعمارية المتعددة ومعها العناصر التى سارت فى ركابها من الخونة والمرتزقة . واختتم المؤلف كتابه بنهاية بطل موضوعه .

والأسلوب السهل الذى رأى المؤلف أن يتبعه كان له تأثير كبير على تتبع أحداث هذا الكتاب ، كما وفر على القـارىء الكثير من الجهد لتفسير ما قد يخفى عليـه من أمـر ، كما أن تنويع الموضوعات وجمال تبويبها وعرضها وما اشتملت عليه من معلومات شخصية وهامة فى حياة الملا من مولده وحياته الخاصة قد ألقت ضوءا كبيرا على تصرفاته العـامة المتسمة بطابع الكفاح والاصرار فى سبيل تحرير بلاده .

كما أن نصوص المكاتبات التى اشتمل عليها الكتاب والتفاصيل الدقيقـة للمعارك وسيرها قد أبانتا بوضوح مدى الجهاد العنيف والصلابة فى الحق التى اشتهر بها الملا محمد بن عبد الله الحسن .

والكتاب فى مجموعه يعتبر كسبا طيبا للمكتبة العربية كسبا أتاح الفرصة للمؤلف أن ينقى تاريخ الثائر الصومالى وتاريخ هذا الجزء العزيز العربى من قارة أفريقيا من كثير من الشوائب وكثير من الانحرافات التى أضل بها الأجانب تاريخنا حقبة كبيرة من الزمن .

د . محمد المعتصم سيد

● ● ●

سطور من كتاب ...

« كان أثر منهم الفروق بين الجنس البشرى على أوربة ان خرجت على ما يطلق عليه علماء الاجناس « حلاوة التقاليد » فقـد نضج شـعور جديد عن الطبيعة النسبية للنظم الاجتماعية ، واصبح من الصعب الايمان بوجـود اى حق مطلق للفرد فى سلوك الطريق الذى يشاء . »

... تاريخ العالم الحديث

مشكلات علم النفس

تأليف : **هـ . إيزنك**

ترجمة : الدكتور جابر عبد الحميد جابر والدكتور يوسف محمود الشيخ

مراجعة : الدكتور احمد زكى صالح

الناشر : دار النهضة العربية

٣٢٢ صفحة ١٧×٢٤ سم

كنت قد قرات هذا الكتاب باللغة الانجليزية فى مجموعة بليكان وكنت اتمنى خلال قراءتى له ان يدفع الله بعض كتابنا العرب والمشتغلين بالفلسفة وعلم النفس الى ترجمته . وهاندا اجد بين يدى اليوم ترجمته كاملة . وعنوان الكتاب بالانجليزية هو (حسن استخدام علم النفس وسوءه) فآثر السادة المترجمون اعطاءه هذا الاسم الجديد : مشكلات علم النفس تخفيفا له حتى يسهل التعامل به . والواقع ان العنوان المختار لا يشير من قريب أو من بعيد الى طبيعة الدراسة التى قام بها الأستاذ هـ . ايزنك مؤلف الكتاب . وكنت أود أن يضيف المترجمون كلمة (التطبيقية) الى كلمة (مشكلات) حتى يقترب الكتاب بذلك قليلا من اذهان الجمهور . والمترجمون هم الدكاترة : يوسف محمود الشيخ وجابر عبد الحميد جابر وقام بالمراجعة الدكتور أحمد زكى صالح .

واود ان أشير الى أن الكتاب ليس صعبا من ناحية الأساليب والعبارات والتراكيب ويمكن جدا ان نلمس هذه الحقيقة بمطالعة بسيطة ولو لاحدى صفحات الكتاب الأصلى . ولكننى فوجئت بأن التغييرات التى أجريت فى تحريف الكلمات والعبارات كانت كثيرة فى الترجمة دون ان تكون هناك صعوبات ما من ناحية الجمل الأصلية . ففى فهرس الكتاب مثلا يترجم المترجمان كلمتى Social Attitudes بسيكلوجية الاتجاهات والأفضل فى نظرى المواقف الاجتماعية . كذلك فى صفحة (١٩) من الكتاب وجدت المترجمين يستخدمان كلمة مفهوم للتعبير عن كلمة Concept وأصح من ذلك استخدام كلمة تصور .

وهناك كلمات كثيرة من هذا القبيل لم يكن المترجمان فى حاجة الى بذل مجهود كبير لتحاشى الخطأ فى ترجمتها . ولو انهما تابعا اى كتاب من كتب الفلسفة أو علم النفس التى سبقت ترجمتها الى اللغة العربية أو المناقشات العادية التى دارت بين بعض أساتذة الفلسفة حول ترجمة بعض المصطلحات لأغناهما ذلك عن الوقوع فى هذه الأخطاء .

واجد من المناسب لذلك أن أعرض نصا

صغيرا من عدة أسطر لترجمة قاما بها فى صفحة (٣٧) من الكتاب مع اعادة كتابة النص بالترجمة التى اقترحها لترى الى اى حد لم يكن هناك تمسك بمماشاة النص الأصلى أو حرص على اخراج الترجمة بأفضل أسلوب ممكن . وهذا هو النص :

« ودون الدخول فى تفاصيل معقدة يمكننا ان نصل فى نهاية استطلاعنا الى اجابة عن السؤال « ماذا تقيسه اختبارات الذكاء فى الواقع ؟ » فاذا وضعت الاختبارات صوابا وفقا لخطوط تحليلية فانها تقيس سرعة الأداء العقلى الذى يعتبر مكونة اساسية للكفاية العقلية ، كما تقيس سهولة خاصة فى تناول أنماط مختلفة للمادة — كالأعداد والكلمات والرسومات وما الى ذلك وتدل على تفوق خاص فى مختلف العمليات العقلية — مثل الادراك والتذكر والتفكير وما الى ذلك ، كما أن هذه الاختبارات تتضمن أيضا مكونات غير عقلية مثل المثابرة التى تعد ذات اهمية بالغة فى تحديد الذكاء الفعال لدى الشخص اى قدرته على حل مشكلات ذوات مستوى عال من حيث صعوبتها وتعقيدها . »

اما الترجمة التى نقترحها والتى تظهر مدى اقتراب المترجمين من النص الأصلى فكالآتى : وها نحن نصل بعد ان تخلصنا من ملامحها الكثيرة التعقيد فى نهاية تطلعنا الى اجابة عن السؤال : ما الذى تقيسه اختبارات الذكاء حقيقة ؟ انها اذا اقيمت وفقا لتخطيط تحليلى تقيس سرعة تشغيل الذهن التى تبدو أساسية تماما بالنسبة الى الفاعلية العقلية . وهى تقيس ايضا السهولة الخاصة فى تناول النماذج المختلفة من المواد كالأعداد والكلمات والتصميمات وما الى ذلك كما انها تقيس التفوق الخاص للأنماط المختلفة من العمليات العقلية كالادراك والتذكر والاستدلال وما الى ذلك . وتتضمن هذه الاختبارات ايضا اجزاء غير ذهنية كالمثابرة وهى اجزاء ذات اهمية بالغة فى تحديد الذكاء الفعلى للشخص اى فى تحديد قدرته على حل مشاكل ذات تعقيد وصعوبة اكثر فأكثر » .

ونلاحظ مثلا أن النص الخاص بالكتاب المترجم يحتوى قبل نهايته على العبارة : وتتضمن هذه الاختبارات ايضا اجزاء غير ذهنية كالمثابرة وهى أجزاء ذات اهمية بالغة فى تحديد الذكاء... الخ . ويفهم من هذه العبارة ان الأجزاء غير الذهنية هى التى تتصف بالأهمية البالغة وليست المثابرة فى حد ذاتها التى جاءت كمثال فقط . أما النص الأول المأخوذ من الترجمة فيفهم منه أن المثابرة هى التى تعد ذات اهمية بالغة . كذلك لا نفهم لماذا استخدم المترجمان كلمة الاستدلال ترجمة للكلمة الانجليزية Reasoning فى الشكل التخطيطى لعمليات الذهن بالصفحة رقم (٣٧) واستخدما كلمة تفكير لنفس الكلمة فى النص الذى اخترناه سلفا .

والواقع اننى لا اطالب المترجمين بترجمة حرفية نصية ولا مانع فى رأيى اطلاقا أن يقوم المترجم بالتصرف قليلا حيثما لم يكن الكتاب يمثل نصا دقيقا له قيمة تاريخية . ليس هناك ما يمنع الترجمة بتصرف مع المحافظة الجدية على المعنى المراد شرحه للقارىء ومع محاولة تقريب روح كاتب البحث الى الجمهور . ولكن الخطأ فى اختيار الكلمات وفى تركيب العبارات بحيث لا يصبح الفاعل الأصلى فى الجملة المطلوب ترجمتها فاعلا فى الجملة الجديدة لا يمكن التساهل بشأنه أو السكوت عليه .

وقد استطاع المترجمان ان ينقلا الى العربية اختبارات الذكاء التى وضعها ايزنك فى عبارات سليمة واضحة . بيد ان القراءة العادية لبعض فقرات الكتاب كانت تدفع أحيانا الى التوقف امام كلمة من الكلمات لعدم توافقها مع المفهوم العام . خذ مثلا صفحة (٦٩) فهو فى احدى الفقرات يتحدث عن اختبارات الذكاء للأطفال وتمضى الترجمة صحيحة أنيقة لتوضيح أهمية مقاييس الذكاء بالنسبة الى قياس القدرة العقلية لدى الأطفال حتى تجد نفسك فجأة أمام كلمة راس المال . وهنا تسأل نفسك بالضرورة : وما شأن الأطفال وراس المال ؟ وحينئذ يأخذك الفضول

كما اخذنى لمراجعة الكتاب الاصلى . فالنص المترجم كما يلى : والنتيجة الواضحة التى يمكن استخلاصها من هذه الحقيقة بالتاكيد ، انه اذا اردنا ان نعرف قدرة الطفل الحالية وفى نفس الوقت أن نتنبأ عن قدرته فى المستقبل ، فعندئذ لا يمكننا الاعتماد على اختبار واحد بل يجب أن نطبق اختبارين احدهما لايجاد حجم **راس المال** والثانى لمحاولة قياس حجم الزيادات المحتملة .

وبمجرد الوصول الى كلمة راس المال شعرت بان ثمت امرا . والواقع ان الترجمة فى هذه الفقرة سليمة وتمضى مضيا صحيحا الا اننى تعجبت من راس مال الاطفال . وفى الاصل الانجليزى استخدم ايزنك كلمة Fund وقد وضع المترجمان فى مقابلها كلمة رأس المال مباشرة دون محاولة التفكير قليلا فى الموضوع ومحاولة تعديل العبارة . فالكلمة الانجليزية المذكورة تشير الى اى ذخيرة مدخرة من العاطفة او من الفهم او من المعرفة وليس بالضرورة من المال فقط . ولذلك كان من المفضل ان يتحايل المترجمان على النص هنا ووضع عبارة (ثروة الطفل من الفهم) بدلا من الكلمة المالية التى لا تتفق بحال من الأحوال مع مجمل النص .

وفى صفحة (١٣٢) من الكتاب حيث يتحدث ايزنك عن اختيار الطلاب الجامعيين بناء على اختبارات الذكاء ترد العبارات التالية : ولكن يلاحظ على هذه الاختبارات المبكرة انها ذات طبيعة فسيولوجية ، اذ بنيت على المفهوم الفسيولوجى للذكاء الذى يربط بينه من ناحية وبين سرعة النشاط الانعكاسى وبعض المظاهر العصبية الأخرى ، من ناحية اخرى ، ومن المعروف الآن ان هذه الامور لا علاقة لها اطلاقا بالذكاء .

وقد كانت هذه الترجمة غير موفقة اطلاقا واخشى ان تكون مثل هذه المواقف قد تكررت فى بعض فصول الكتاب الاخرى . فلا يمكن اولا ان نفهم معنى سرعة النشاط الانعكاسى . وكلمة reflex تكرر ورودها فى الكتاب مترجمة بالانعكاس ولكن هذا لا يصح على طول الخط . فهنا مثلا يشير ايزنك الى سرعة نشاط الاستجابة . كذلك يلاحظ ثانيا انه ليس هناك مفهوم يربط بين الذكاء وبين سرعة نشاط الاستجابة وانما هناك فرض او افتراض علمى من هذا القبيل . وقد راينا فى النص الأصلى للكتاب أن ايزنك يستخدم كلمة Hypotheses ولم نجد مايدعو الى تغيير معنى هذه الكلمة عند ترجمتها .

اما ماهو اهم واخطر من ذلك — من ناحية ثالثة — فهو عبارة (ومن المعروف الآن ان هذه الأمور لا علاقة لها اطلاقا بالذكاء) ولو كان ايزنك هو صاحب هذه العبارة لما كان جديرا بأن يكتب مؤلفا من هذا القبيل فى علم النفس . فالعالم له صفة الاحتياط خصوصا فى المسائل التى لا يستطيع المرء أن يقطع فيها برأى حاسم مائة فى المائة . والواقع انه لا يمكن القطع بأن العوامل الفسيولوجية لا تتدخل بتاتا فى علاقة الذكاء بسرعة نشاط الاستجابة وبعض المظاهر العصبية الاخرى . هذا مؤكد ولم يقل ايزنك هذه العبارة الحاسمة التى اقترحها المترجمان وانما قال ايزنك : انه اذا كانت هناك علاقة اطلاقا فهذه العلاقة طفيفة ..

على اى حال فان الكتاب ممتعامتاعا لا مثيل له ويدافع دفاعا صادقا عن حقيقة استخدام مقاييس الذكاء واهميتها كما انه يوازن بين هذه المقاييس وبين بعض الاختبارات الأخرى التى يقوم بها بعض الناس والتى تعتمد على المواجهة الشخصية ومحاولة اكتشاف شخصية الغير بناء على تصرفات متعددة التعبير عن الكيان العام للفرد . اننى اشعر بأن حاجتنا الى مثل هذا الكتاب كبيرة حتى نستطيع التعرف على طرق استخدام المقاييس وعلى اساليب علم النفس الحديث فى قياس قدرات الانسان .

عبدالفتاح الديدى

شعراء الرابطة القلمية

تأليف
نادرة جميل سراج

الناشر : دار المعارف
٣٩١ ص ١٧×٢٤ سم . الثمن ٥٠ قرشا

ما يزال شعر المهجر حقلا خصيبا للدراسات *الأدبية ، على الرغم من كثرة هذه الدراسات في* الآونة الأخيرة ، وتعدد مناهجها ، وتشعب اتجاهاتها .

ومن احق هذه الدراسات بالتنويه ، كتاب الأستاذة « نادرة سراج » « شعراء الرابطة القلمية » لأنه — أولا — رسالة جامعية نالت به درجة « الماجستير » من جامعة القاهرة ، ولأنه — ثانيا — يتناول مجموعة من الشعراء متجانسة المشارب والاتجاهات ، متوحدة في نظرتها الى الشعر ، وتفهم وسائله ، وتحديد رسالته ، وهذه المجموعة من الشعراء — ايضا — تمثل مدرسة مستقلة من مدارس التجديد في الشعر العربي الحديث .. تتضح خصائصها ومميزاتها فيما نشر لهم من شعر ونقد ، وآراء في قضايا الأدب وقضايا الحياة على السواء .

وقد قدمت الكاتبة لبحثها تمهيدا موجزا عن أحوال الوطن العربي الذي غادره المهاجرون ، تحدثت فيه عن الهجرة واسبابها وحوادثها ومتى بدأت ، ثم عن الحياة الثقافية والأدبية للمهاجرين في المهجر الشمالي ، وعن صلاتهم بالموطن الجديد ، واحساسهم الرهيف الدائم الحنين لوطنهم الأم ، وعن تمسكهم بلغتهم العربية كمظهر للحب والولاء لهذا الوطن الحبيب ، ثم تحدثت الكاتبة عن صحافتهم وأثر هذه الصحافة في دعم الوعي القومي ، ونشر الآثار الأدبية .

ثم كان الفصل الثالث عن « التجديد » في *الموضوعات والصياغة* .. حيث ضمنت التجديد في الموضوعات :

١ — الثورة على التقليد .. فلا مدح ولا هجاء ولا رثاء الخ .
٢ — ميلهم الى الحديث عن النفس .
٣ — الجوانب الانسانية العامة .
٤ — الطبيعة في شعرهم .
٥ — أثر سوريا ولبنان في شعرهم ، وأثرهم في شعراء المشرق وكتابه . ثم كان التجديد في الصياغة كما تراه الكاتبة يشمل :

١ — التجديد في الأوزان .
٢ — التجديد في الموسيقى الشعرية .
٣ — النثر الشعري ، والشعر المنثور .
٤ — التجديد في الألفاظ .

وأخيرا .. يأتي الفصل الرابع للحديث عن الشعراء أنفسهم ، ومدى ما يتفرد به كل منهم عن الآخرين من سمات نفسية وفنية .

وبهذا تكون الكاتبة قد تعرضت لتأريخ حركة الرابطة الأدبية ، وتقييم انتاجها الشعري ، وتصوير حياة أعضائها ، ومكوناتهم البيئية والثقافية .

ولكننا عندما نتساءل — مثلا — عن الصلة الوثيقة بين الفصل الأول ، وقد نيف على خمسين صفحة ، وبين باقي فصول الكتاب .. مثل الفصل الذي عقدته لتفسير شعر الرابطة وتقييمه تحت عنوان « التجديد » وهو أهم فصول الكتاب

واشدها صلة برسالة البحث .. نجد أن هذا الفصل (عن الهجرة والوطن الأم) لم ينم معرفتنا بالشعر المهجرى ، ولم تكشف لنا الكاتبة فيه عن الوثائق الوثيقة - الخفية والبادية - بين لبنان فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر والاضطرابات والمذابح التى اجتاحتـه والتمزق الطائفى ، وانتهـازية رجال الدين به ، وأطماع المستعمرين .. ثم نمو البرجوازية ومثلهـا فى التفرد والسعى وراء المجد الشخصي ، والتفوق الذاتى .. بين كل ذلك وبين الشعر المهجرى الذى ليس الا صدى عميقا لهذه البيئة المضطربة المتطلعة الى التحرر من الفقر والاقطاع والرجعية ومن التبعية الأجنبية ، والى تحقيق حرية شاملة للفرد بمفهومها البرجوازى .

فقد كانت مفاهيم هذه المدرسة عن رسالة الشعر وشخصية الشاعر ، ثم تأملاتها فى الكون واصل الحياة ، ومنازع النفس الانسانية واهوائها ثم رفضها لكل الطقوس الدينية ولكل المسلمات الاجتماعية والفكرية ، ورغبتها الملحة فى الانطلاق الى احضان الطبيعة البكر ، وتحرير الانسان الفـرد من كل ما يعوق حرياته ، ويقف دون انطلاقه الروحى ، ونمو احساسه بذاته ، وقدراته التى لا تحـد .. كان لكل ذلك جذوره العميقة الممتدة فى تربة البيئة اللبنانية التى كانت المخاض الحقيقى للنزعة الرومانتيكية فى شعر المهجر .. هـذه الرومانتيكية التى لم تكن قـط صدى الرومانتيكية الأوربية ، بل كان لها أكثر من التقاء معهـا ، وأكثر من نزعـة متشـابهة كنتيجـة لتشـابه العوامل التى صـهرتهما جميعا ، والبيئات التى تمخضت عن كل منهما . والصلة بين الشعر المهجرى والبيئة اللبنانية ، هذا ما كان على الكاتبة أن تزيده وضوحا وعمقا بدلا من ان تقدم فصلا تاريخيا بحتا يجاور بحثها الأدبى ، ولا يمتد فيه أو يعمق نتائجه .

وفى مزيد من الاضطراب تتحدث الكاتبة عن احساس شعراء الرابطـة بالبيئة الجديدة فى أمريكا الشمالية ؛ فحينا تقول :

« الحـرية هى الهـدف الذى هاجروا من أجله ، وفى طلبه ، ووجدوه أمامهم مرحبا بهم هاشا لقدومهم ، باشا فى وجوههم يوم وطئت اقدامهم ميناء نيويورك » (ص ١٥٧) .

وحينـا آخر تقول : « وفى الحق أنهم لم يشعروا تجاه هذه الحياة بأى توافق أو انسجام بل على العكس لقد شـعروا نحوها بكره شديد ، واشمئزاز » (ص ١٦١) .

فكيف بالله يا سـيدتى تهش لهم الحرية وتبش ، وهى طلبتهم التى غادروا الأهل والوطن والأحباب من أجلها ، ثم لا يشعرون فى المجتمع الذى تفيض به الا بالكره الشديد والاشمئزاز .. يتكرر هذا الاضطراب فى تفهم البيئة الجديدة ، وموقف الشعراء المغتربين منها ، فى ثنايا الكتاب ؛ وليس من سبب اليه سوى ان الكاتبة ليس لديها مفهوم علمى دقيق عن الحـرية .. يعنى حرية الوطن وحرية المواطن معا ؛ فهى فى الفقرة الأولى تريد - فقط - التمهيد الى بعض قصائد للشعراء عن الحرية ، وفى الثانية تمهد للحديث عن نزعة الهرب فى شعرهم ، ودعوتهم الى تمجيد الحياة الفطرية البسيطة فى « الغاب » .. وربما لا تكون البواعث العميقة لهـذا الشعر سوى الحنين الجارف لوطنهم ، فهو من ناحية تتوفر فيـه تلك الحياة الرعوية البسيطة ، البعيدة عن تعقد المدن ، ومظاهر الحياة المملة فيها ؛ وهو من ناحية أخرى سجين خلف أسـوار التخلف والرجعية والاستعمار .. فرغبة الهرب الى الغاب صورة من الحنين الى الحياة به ، والدعوة الى الحرية ، مقـاومة الضغوط التى تكتنفـه ومحـاولة لهز قضبـانه ، والتلويح بقبضـة الغضب فى وجه سجانيه .

واذا كان الفصل الذى عقدته عن « التجديد » يعتبر بحق ذروة البحث وخلاصتـه فقد سارت بنـا الكاتبة فى رحـلة ممتعـة مع التجـديد فى الموضـوعات .. من نقمتهم على الاغـراض التقليدية ، وشـعر المناسـبات الزائف الذى لا يصدر عن بواعث انسانية شريفة واصيلة ، الى رحلاتهم الشعرية فى عوالم النفس الانسـانية ، والتساؤل عن مصدرها ومصيرها ، والحيرة أمام الوجود ، ومحاولة تفسير معمياته ، ثم الى حبهم للطبيعة وفنائهم فى مظاهرها ، وتعاطفهم مع الليل

والبحر والفصول الاربعة سيما الخريف الذى تحمل الطبيعة فيه صورة من رعشة نفوسهم، وذبول أمانيهم، وحيرتهم أمام الفناء .. الى الحديث عن نزعة الهروب من المدينة، والدعوة الى الحياة الفطرية البسيطة فى الغاب، دون أن يحول ذلك بينهم وبين التعاطف مع البشر ودعوتهم الى المثل الاجتماعية الخيرة .. وأخيرا عن حبهم لوطنهم الأم، والحنين الجارف اليه، ومتابعة قضاياه، والاحساس بكل مآسيه .

كان هذا الفصل من أمتع فصول الكتاب بغض النظر عن عدم الدقة أحيانا فى التعبير عن الحركة الأدبية المعاصرة، ومدى ما أصاب شوقى وحافظ واضرابهما من التأثر بالمذهب الرومانتيكى، وحظوظهم من التجديد، وعدم الدقة أيضا فى جمع كل ما قاله شعراء المهجر عن النفس مثلا فى اطار واحد دون الاشارة الى أن النفس أو القلب كثيرا ما يتخذ لدى كل منهم معنى خاصا مما يدخله فى عداد المصطلحات الشعرية (الرمز) الخاص بكل شاعر ؛ فقد كان لكل منهم قاموسه الخاص الذى يحدد بدقة معنى كل كلمة من خلال عديد من الاستعمالات التى تميز معناها - وتحدد نوعيته - عن المعانى الأخرى التى نجدها فى استعمالات الآخرين للكلمة ذاتها .

بغض النظر عن ذلك فاننا نجد الكاتبة فى فصل « التجديد فى الصياغة » تقول :

« ولم يكتف شعراء الرابطة بتقليد الموشحات الأندلسية التى اعتبروها جديدة فى باب الشعر العربى، وانا لنراهم يجددون هم الآخرون فى أوزان هذه الموشحات وفى بحورها المختلفة » .. وتعتبر مثالا لذلك المقطوعة التالية :

يا خليلى اذا شط المزار
بفؤاد ما له غير الزفير
وهمى دمعى لدى ذكر الديار
خليانى

فهل هذه المقطوعة تجدد فى أوزان الموشحات، وفى بحورها المختلفة ؛ ومن ثم هى تجديد فى أوزان الشعر العربى وبحوره المختلفة ؟ .. وكيف وقد استعملت « فاعلاتن » فى الشطور الثلاثة الاولى ثلاث مرات كما تستعمل فى بحر «الرمل» ثم افردت التفعيلة نفسها فى اللازمة الأخيرة « خليانى » .. فأين هو التجديد الذى حدث فى الأوزان أو البحور .. وكل ما حدث هو توزيع موسيقى نجد أشباهه كثيرا فى الموشحات الأندلسية، وليس هو من صميم التجديد فى موسيقى الشعر العربى فى شىء، فهو لا يمس جوهر الأوزان والبحور ؛ ولكن الكاتبة تسرى فى دعواها الى أن الشعر المهجرى جدد فى أوزان الشعر وبحوره :

« ولا شك أن هذا التجديد الذى أحدثه نسيب عريضة وغيره من شعراء الرابطة القلمية فى الموشحات وفى اوزان البحور الأخرى قد جاءهم من اطلاعهم على أساليب الشعر الغربى .. ص ٢٥٦ - » .

والتجديد فى أوزان البحر العربى لا يكون الا بتغيير نظام تفعيلاته تغييرا جوهريا، أو باكتشاف نظام عروضى جديد . ولم يحدث شىء من ذلك على الاطلاق فى الشعر المهجرى ؛ ومن هنا نرى عدم الدقة والوضوح فى حديث الكاتبة مما أدى الى الخلط والاضطراب والخطأ فى تناولها لقضية أدبية هامة هى قضية « الشعر المنثور » فنجد الكاتبة تقول :

« نجد لرشيد ايوب فى ديوانه « أغانى الدرويش » مقطوعات ثلاثا أغلب الظن انه قصد أن تكون من هذا الشعر المنثور، ولكنه لم يتوخ جميع شروطه، ولم يتبع موازينه ؛ فجاءت أقرب الى النثر الشعرى منها الى أى شىء آخر (ص ٢٧٠) .. » .

فما هى جميع شروطه ؟
وما هى موازينه ؟
وعن قول رشيد أيوب فى احدى مقطوعاته
« وقف مستعصيا على قارعة الطريق فساعدوه
فقد نضارة الحياة ورونقها فارحموه
هو بينكم كالغريب فلا ترفضوه »
تقول الكاتبة :
« والى هنا نجده يحسن نظم هذا اللون من هذا الشعر المنثور » (ص ٢٧٠) فنسأل الكاتبة أى نظم تعنى، وعلى أى أساس ؟

هذه السطور النثرية الخالصة نظما ، بينما هى فى نفس الموضع تعلق على أسطر أخرى لرشيد هى :

« تحت الشجرة رقد المسافر فلا توقظوه .

فقد انهك قواه السفر .

ما أرق هـذا النسيم المار على وجهه الذى لوحته الشمس .

مسكين قد اشتعل راسه شيبا »

فتقول الكاتبة :

« لو لم يكن فى هذه السطور النثرية البديعة غير ما توحيه من صور ومناظر ..

لكفاها تعبيرا وتأثيرا » .. (ص ٢٧١) .

فكيف تسنى للأسطر السابقة أن تكون نظما ، وأن تعتبرها الكاتبة من نوع « الشعر المنثور » فى حين ظلت هـذه السطور وهى لا تختلف عن سابقتها فى شىء « نثرية بديعة » .

وتوغل الكاتبة بنا فى الحيرة والاضطراب أمام مقاييسها حين تعتبر القصيدة الشعرية المشهورة « النهاية » لنسيب عريضة ، التى يقول فيها :

كفنوه

وادفنوه

أسكنوه

هوة اللحد العميق

واذهبوا لا تندبوه ، فهو شعب

ميت ليس يفيق

ولنتاجر .

فى المهاجر

ولنفاخر

بمزايانا الحسان

ما علينا ان قضى الشعب جميعا

أفلسنا فى أمان

تعتبر الكاتبة هـذه القصيدة المنظومة على نظام مقطعى من باب هـذا الشعر المنثور .. وهكذا تخلط الكاتبة بين الشعر والنثر بلا روابط من وعى عروضى ، أو ذوق أدبى دقيق ، أو أثر لأستاذية الدكتورة سهير القلماوى التى أشرفت على اعداد الرسالة وقدمت لها عند الطبع ؛ فهل تتفق الدكتورة مع الباحثة فى هذه المفاهيم غير المفهومة ، أم نلقى تبعة ذلك على الباحثة وحدها .

بقى أن نتحدث عن الفصل الأخير .. وهو الذى عقدته الكاتبة للحديث عن الشعراء أنفسهم بعـد أن قدمت للقضـايا والتجارب والمميزات الفنية التى حفل بها شعرهم .

وكان من المتوقع من الكاتبة فى هذا الفصل ان تدرس الخصائص الشعرية لكل منهم ، ووسائل التعبير التى يتخـذها ، والوحـدة العضوية فى قصيده ، ومدى ما اضافة شاعر كايليا أبى ماضى مثلا الى القصـيدة الغنائية من عنصر قصصى أو أسطورى تجلى فيه معنى من معانى الصراع (الدراما) ، ثم نوعية الصورة الشعرية لدى كل منهم وحظه من الصياغة الشعرية .

ولكنها قصرت جهودها على توضيح الملامح النفسية لكل منهم بصورة عامة ، فهذا متفائل أو حائر أو باك دون التفات الى الفن الشعرى نفسه والفروق الدقيقة فى « التكنيك » بين كل شاعر وآخر .

والكتاب ــ على أية حال ــ دراسـة طولية لشعراء الرابطـة القلميـة ، تعتمد على السرد والاستقصـاء ؛ دون تعمق الظواهر النفسية أو الفنيـة فى شعرهم ، أو الكشف عن الأسس الفلسفية والجمالية لهذا الشعر .

.. لكنه جهد لا ينكر على الطريق .

أنس داود

سطور من كتاب ...

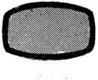
« ما كان العراق وما هو اليوم بمفتقر الى راس المال فى حد ذاته ، لان عوائد النفط تجهزه بمصدر يحسد عليه من الايراد . ولهذا ، فيعتقد العراقيون بأن مسألة الحصول على راس المال ليست بمشكلة ، وانما المشكلة هى فى تنظيم راس المال هذا واستعماله بصورة فعالة . » .

... تصنيع العراق

التعليم عن طريق التليفزيون

تأليف : الدكتور هنرى كاسيرر

ترجمة : الدكتور سلامه حماد
مراجعة : مصطفى حبيب



الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشتراك
مع مؤسسة سجل العرب .
٤٦٠ ص ١٧×٢٤سم ، الثمن ٤٥ قرشا

تتميز الحضارة فى عصرنا بأنها فتحت آفاقا رحبة لسيطرة الانسان على الطبيعة باستخدام الطاقات الكامنة فى المادة وبأنها اتاحت المزيد من فرص الاتصال وتبادل الأفكار عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرية ومن أهمها التليفزيون الذى كانت سرعة تقدمه وانتشاره مصدر دهشة وأعجاب فى نفس الوقت .

واذا كانت الدول الصناعية فى أوربا وأمريكا ترى فى التليفزيون رمزا لتفوق العصر ، وأداة للرفاهية ، ووسيلة للتعليم فى مجتمعاتها المتطورة ، فان الدول النامية تنظر الى التليفزيون كقوة بناءة للمستقبل ، تثير به ارادة الجماهير نحو المعرفة وقيمة العمل ، وتعتبره سلاحا تنتصر به على التخلف .

ومن هنا فان دور التليفزيون فى البلاد النامية يتحدد فى الظروف السياسية المواتية بأنه « جهاز جديد يملكه الشعب لكى يعالج به مشاكل تقدمه بسرعة معينة تحددها خطة التنمية » ، ولهذا فلا بد له من ان يساهم فى القضاء على الأمية وفى الارتفاع بمستوى الثقافة والخبرات المتخصصة فى ميادين الانتاج لكى تتمكن المجتمعات النامية من اعادة صنع الحياة .

وقد عبر عن هذا المعنى وزير الأعلام النيجيرى فى افتتاح مؤتمر التليفزيون الافريقى فى لاجوس فى سبتمبر الماضى بقوله :

« ان التليفزيون فى افريقيا ليس بحاجة الى ان يخلق صورة وهمية للتقدم ، انما يتعين عليه أن يصنع هذا التقدم ويدعمه ، واننا لنستحق شرف التطلع الى اليوم الذى يصبح فيه التليفزيون سلاحا للتغلب على مشاكل اللغة والتعليم وعلى كثير من مشاكلنا الفردية والعامة » .

المؤلف والكتاب

وفى مؤتمر لاجوس هذا اشترك مؤلف هذا الكتاب الدكتور هنرى ر . كاسيرر ممثلا لمنظمة اليونسكو التى تولت عقد المؤتمر . وادار المناقشة حول«مضمون البرامج التليفزيونية ومصادرها» وكذلك حول « دور التليفزيون فى التعليم » .

واوضح د . كاسيرر ان العالم المعاصر ، وبصفة خاصة فى الدول الآخذة بالتطور ، يمر بمشاكل تعليمية متعددة يحتاج حلها الى اتجاهات وأساليب جديدة ، وانه من المستحيل أن تتخيل أمة مستقبل استقلالها وتقدمها دون أن تزود مواطنيها بمستوى تعليمى لا ينفك ينمو ويزدهر . وان مساهمة التليفزيون لتحقيق هذا الهدف تعد حقيقة على درجة عظيمة من الأهمية .

ويعكس الكتاب الذى نستعرضه خبرة د . كاسيرر التى اكتسبها من العمل فى ميادين الاعلام والتربية بمنظمة اليونسكو . وقد نشرت ترجمته العربية فى سلسلة الألف كتاب أما البحث نفسه فقد وضع فى أواخر عام ١٩٥٩ والفرض

منه بوجه عام الكشف عن امكانيات التليفزيون فى مجال التربية والتعليم .

ويتضمن الكتاب عرضا لتاريخ التليفزيون التعليمى ، والحاجة التى دعت الى استخدامه ، والمشاكل التى يواجهها لتحقيق اغراضه ، مع تحليل لمزايا الشاشة الصغيرة فى التغلب على مشاكل التعليم والتدريب ، ومناقشة لمستقبل التعليم بالتليفزيون الذى تعلق عليه المجتمعات المعاصرة املا كبيرا بعد ان تخطى مرحلة التجريب وانتقل الى مرحلة التطبيق .

وقد خصص المؤلف الفصول العشرة الأولى من الكتاب لعرض نماذج من التجارب الأمريكية فى ميدان التعليم التليفزيونى نظرا لأن الولايات المتحدة كانت من أسبق الدول الى استخدام التليفزيون فى المدارس والجامعات مما جعله سمة ثابتة فى الصورة التعليمية والثقافية وادخله فى هيكل التعليم الأمريكى .

أما الفصول السبعة الأخيرة فيستعرض فيها تجارب مجموعة من الدول المتقدمة : فرنسا ، ايطاليا ، كندا ، اليابان ، الاتحاد السوفيتى ، المملكة المتحدة . فى ميدان التليفزيون التعليمى معتمدا على التقارير التى كتبها المسئولون عن هذا النوع من التعليم فى تلك البلاد وارسلوا بها الى ادارة الاعلام بمنظمة اليونسكو .

وفى الفصل الأخير يحلل د . كاشير العلاقة بين حق الانسان فى التعليم وفقا لما هو مقرر فى اعلان حقوق الانسان وبين تقدم التليفزيون وأثره على محتوى التعليم ونوعه ويؤكد المسائل الأساسية المشتركة بين التليفزيون والمدارس والجامعات وضرورة التعاون بين هذه الهيئات جميعا لتحقيق الأمل فى مزيد من العلم والثقافة باستخدام التليفزيون الذى بلغ أوجه كوسيلة للترويج والاعلام .



التليفزيون والتعليم

مر التليفزيون فى تطوره بمراحل ثلاث فقد ارتبط أولا بقاعدته الصناعية فى أوربا وامريكا واليابان ، ثم ثبتت أقدامه فى البلاد المتقدمة : اقتصاديا وانتشر بعد ذلك فى البلاد الآخذة فى النمو فى أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا . ولما كان التليفزيون هو نتاج عمليات فنية معقدة وكثيرة التكاليف فقد ظن فى بادىء الأمر أنه مجرد رمز لتقدم الجماعات دون أن يعنى ذلك شيئا كثيرا لمشكلات العالم الأساسية .

على أنه بمزيد من التطور أصبح التليفزيون لا يكتفى بعرض الأخبار والمعلومات أو بتقديم اجمل أنواع الابداع الفنى من الدراما الى الرقص والموسيقى بل اخذ يشكل قوة فى خدمة الثقافة العامة وفى تعليم الكبار والصغار على السواء ، بما يفتحه من آفاق جديدة تمتزج فيها الحقيقة بالخيال ويصطبغ فيها العلم بالصور الجميلة المعبرة .

وتأكدت وظيفته الجديدة كوسيلة للتعليم بمستوياته المختلفة فى المدارس والجامعات ، وأداة ذات فاعلية كبيرة فى ميدان التربية والتعليم يستطيع بها المجتمع أن يتغلب على مشكلات النقص فى عدد المدرسين وتزايد أعداد الطلاب وقلة الامكانيات التعليمية وارتفاع تكاليفها .

نمو التليفزيون التعليمى

واذا تتبعنا هذه الوظيفة الجديدة للتليفزيون فى عدد من المجتمعات نلاحظ أن التليفزيون التعليمى نما وتطور فى الولايات المتحدة الأمريكية بأقل قدر من التنظيم المركزى وبأكبر قدر من المجهود المحلى حيث تقع مسئولية التعليم على عاتق الولايات التى تتمتع فيها الهيئات التعليمية بقسط كبير من الاستقلال . وكان الغرض الأساسى لمعظم المحطات التعليمية هو تقديم البرامج الثقافية بالمعنى الواسع للجمهور العام .

اما استخدام التليفزيون في المدارس والجامعات فقد جاء نتيجة للزيادة المطردة في اعداد الطلبة في أعقاب الحرب الثانية وللنقص في عدد المدارس والمدرسين وقد بلغ هذا النقص في غرف الدراسة اكثر من ٣٠٠ر٠٠٠ غرفة وفي عدد المعلمين اكثر من ١٣٠ر٠٠٠ معلم بعد نشوب الحرب الكورية عام ١٩٥٠ .

وقد اشتهرت الولايات المتحدة بانها البلد الوحيد الذي يستخدم التليفزيون في التعليم الجامعي نظرا لأن كلياتها تستقبل عددا كبيرا من الطلاب كما أن برامجها تتضمن عددا كبيرا من المواد معظمها ذات طبيعة عملية وغير أكاديمية . وتبعا لآخر التقديرات سوف ترتفع نسبة الملتحقين بالكليات من ٢ر٣ مليون الى ما يقرب من ٦ر٤ مليون طالب في سنة ١٩٧٠ وعلى التليفزيون أن يساهم في تقديم الخدمات التعليمية لهم .

والى جانب هذا الغرض الأساسي كانت هناك أسباب أخرى لاستخدام التليفزيون في التعليم منها :

- الرغبة في توفير وسائل تعليمية اضافية تجعل التعليم اكثر حيوية وامتاعا .
- تقوية التعليم في بعض المواد كالعلوم والفنون وتوسيع البرامج المدرسية .
- توفير العناية التعليمية للطلاب الذين يدرسون بالمراسلة .
- الاقتصاد في نفقات التعليم عن طريق استخدام التليفزيون .

اما في كندا فقد نشأت الحاجة التي دفعت هيئة الاذاعة الكندية لاستخدام التليفزيون التعليمي وتطويره نتيجة لاعتبارات قومية واقليمية .

من الناحية القومية العمل على وحدة كندا واستقلالها الثقافي نظرا لأن الاختلاف بين الولايات في نظمها التعليمية يؤدي الى تنوع واسع المدى في مستويات التعليم ، ويستخدم الراديو والتليفزيون للتغلب على هذا الاختلاف بعرض برامج تؤكد الوحدة القومية والتاريخ العام وتبرز الانتاج القومي في الاقتصاد والثقافة والفن .

اما على الصعيد المحلي فهناك انخفاض عدد المدرسين الذي يبلغ في بعض الولايات نحو ٥٠٪ وهناك مشاكل التعليم بالمراسلة التي يستطيع التليفزيون أن يسهم في التغلب عليها .

وقد أسفرت التجارب الكندية عن اعتبار التليفزيون عاملا مساعدا في التعليم يوفر مصادر وفرصا تعليمية متنوعة في غرف الدراسة لا يمكن أن توفرها وسيلة أخرى .

وفي فرنسا كان استخدام التليفزيون التعليمي ضرورة لمواجهة الصعوبات التعليمية التي تنبثق من الحياة الحديثة كزيادة عدد التلاميذ وعجز المدارس وطرق التعليم السائدة عن خدمتهم ، وللافادة من مزايا التليفزيون كوسيلة سمعية بصرية توفر طاقة تعليمية جديدة وتحفز الطالب الى المشاركة الفعالة في عملية التعليم .

واذا ألقينا نظرة على ايطاليا نجد أن الأسباب التي أدت الى التفكير في استخدام التليفزيون كوسيلة للتعليم نبعت من تخلف ٧٥٪ من الأطفال من الالتحاق بالمدارس الوسطى وتخلف ٩٨٪ من الأطفال عموما عن دخول الجامعة . وقد بين البحث الذي أجرته وزارة التربية بناء على طلب البرلمان الايطالي الحاجة الى مزيد من الفرص التعليمية على اختلاف مستوياتها . ولهذا تقرر أن يبدأ التليفزيون الايطالي سنة ١٩٥٩ في تقديم البرامج التعليمية للمدارس المتوسطة (الاعدادية) ثم أصبح التليفزيون التعليمي « تلسكولا » بعد ذلك التاريخ من اكبر المشروعات التعليمية في ايطاليا .

وقد أعطى البرنامج الجديد لاعادة تنظيم التعليم في الاتحاد السوفيتي اهمية كبيرة لخلق اتصال أوثق بين المدرسة والحياة اليومية عن طريق الجمع بين الدراسة والعمل الانتاجي في المزارع والمصانع وأدى تنفيذ البرنامج الى تنمية استخدام التليفزيون في المدارس لتشجيع العمل المستقل بين التلاميذ وتسهيل حضور فصول مسائية ومساعدة الدارسين بالمراسلة من صغار العمال في الريف والمدن . وتطلب الأمر التوسع

فى استخدام التليفزيون لمساندة التعليم الثانوى وتنمية الدراسات المستقلة وتقديم الدروس والمحاضرات فى مؤسسات التعليم العالى وبوجه خاص تلك المواد التى تحتاج الى معينات بصرية أو فيلمية والظواهر التى لا يمكن مشاهدتها فى ظروفها الطبيعية أو فى المعمل أو فى المدرسة .

طرق استخدام التليفزيون فى أغراض التعليم

لقد أصبح التليفزيون يعنى الكثير للقائمين بالتعليم وقد تختلف وجهات النظر فيه كوسيلة فى التطبيق الا أننا لا نجد خلافا حول الأغراض التى يستهدف المجتمع تحقيقها عن طريقه فى ميدان التعليم .

وتختلف نظم استخدام التليفزيون فى هذه الأغراض من دولة لأخرى وفقا لنظم الارسال والاشراف على التليفزيون والتعليم ونوع المحطات المسموح باقامتها وأسلوب التعاون بين المسئولين فى التليفزيون وزملائهم فى التعليم .

ففى الدول التى تتولى الخدمة التليفزيونية فيها هيئات مركزية حكومية أو شبه حكومية ، تكون مسئولية البرامج التعليمية مشتركة بين التليفزيونيين والمعلمين . وتذاع البرامج على شبكات التليفزيون التى تمولها الدولة وتشرف على ادارتها بحيث يشاهدها الجمهور العام أو بعض فئاته وفقا لطبيعة البرنامج الثقافى أو التعليمى ونوع القناة المستخدمة .

أما فى الولايات المتحدة فان مسئولية أنتاج وتوزيع برامج التليفزيون التعليمى تتولاها المحطات التجارية التابعة لهيئات خاصة ، وتمول عن طريق ايرادات الاعلانات . وهى تذيع البرامج التعليمية فى أوقات محدودة لأن غرضها الأساسى جذب المشاهدين وارضاء المعلنين . ولهذا أنشئت الى جانب المحطات التجارية محطات تعليمية خالصة تقدم برامجها لفئات من الدارسين على فترات اطول ، وتتبع المركز القومى للتليفزيون التعليمى الذى يربط جميع المحطات التعليمية ويقدم التسهيلات لنقل البرامج . والنوع الثالث هو التليفزيون ذو الدائرة المغلقة الذى ينقل البرامج التعليمية الى اجهزة الاستقبال فى غرف الدراسة بواسطة أسلاك محورية . والتليفزيون فى هذه المحطات مرتبط باحتياجات المؤسسات التى جهزته كالمدارس والمعاهد والكليات .

ويتطلب استخدام التليفزيون فى أى نظام تعليمى توجيها مسبقا لمديرى التعليم والمعلمين والآباء والتلاميذ . والخطوة الأولى فى اعداد البرنامج تقتضى دراسة عملية لمعلمى التليفزيون ومعلمى الفصول حتى يتعرف الجميع على تخطيط البرنامج وامكانيات العمل . ويختار معلمو التليفزيون عادة من بين التربويين ذوى الخبرة فى التدريس الذين تتوفر فيهم صفات شخصية مريحة وسلسة . ثم يجرى تدريبهم على أساليب العمل التليفزيونى لكى يتولوا اعداد حلقات البرنامج وتقديمها على الشاشة بالتعاون مع مدرس الفصل ويجب أن يرتبط البرنامج بالمقرر الدراسى مع التأكيد على النقط الرئيسية والتلخيص والتدرج فى العرض والتعبير .

تقدم التليفزيون التعليمى ومشاكله

ومن خلال هذا الاستعراض السريع لخبرات الدول المتقدمة فى ميدان التعليم بالتليفزيون وأساليب استخدامه فى تنمية الثقافة العامة وفى تقوية التعليم فى المدارس والجامعات ومراكز التدريب يناقش د . كاسيرر مزايا هذه الوسيلة الألكترونية ومشاكل التوسع فى أستخدامها .

فالتليفزيون اداة تعليمية لها جاذبيتها السيكلوجية والعاطفية ، أداة قادرة على أن تتخطى حدود الزمان والمكان والنظم والشخصيات . وهو موصل تربوى جيد يؤدى الى رفع مستوى التعليم بتدريب المعلمين واقامة صلة أوثق بين المؤسسات التعليمية والمجتمع . فهو يحقق النماذج بين المدرسة والمجتمع ويتيح للكليات والمعاهد أن تتجاوز أسوارها وتصل بالعلم الى المشاهدين فى منازلهم ويجعل المجتمع شاعرا بمسئوليته ازاء

التعليم متابعا لما يجرى داخل مؤسساته . وهو يربط مظاهر الحضارة الانسانية بحياة المتعلمين ومناهج الدراسة ويكشف عن مواطن القوة والضعف في عملية التربية والتعليم كما يتيح تصميم خطط تعليمية قومية او اقليمية يستفيد منها جمهور أوسع من التلاميذ بواسطة اكفأ الأساتذة وخبراء العلم والثقافة .

والى جانب هذا يستطيع التليفزيون أن يقدم خدماته التعليمية للأطفال الذين حرموا فرص التعليم بالمدارس وللمتخلفين والكبار كما يلبى حاجة الموهوبين الى برامج رفيعة المستوى .

ومن مزايا الشاشة الصغيرة أنها تحطم حلقة العطاء والأخذ بين المعلم والطلبة وتعين مدرس الفصل على توجيه انتباه التلاميذ وتضخم الأشياء بصورة واضحة ، كما تحمل المشاهدين الى أماكن بعيدة وهم جلوس فى مقاعدهم فتجعل غرف الدراسة أكثر حيوية واغزر انتاجا .

وفى مجال العلوم الانسانية يعرض التليفزيون الانسان عرضا مباشرا بما فيه من متناقضات وعواطف يدركها مشاهد يشعر بالانتماء الى الشخص الذى يراه . فالتليفزيون يستمد عناصره المرئية القوية من الانسان نفسه باستخدام اللقطات القريبة المعبرة مما يجعل الحياة تدب فى الوقائع الجامدة فتبدو أكثر جاذبية للطلاب ولعامة الجمهور .

ان التليفزيون يطرق أوتارا جديدة فى المتعلمين وهو فى رأى منتجى البرامج التعليمية الأمريكية وسيلة للتأكيد على الهام المشاهدين ودفعهم لتعليم النفس بدلا من الاكتفاء بايصال المعلومات اليهم . أما رجال التعليم الفرنسيين فيرون أن مفتاح السر فى التليفزيون يوصلنا الى :

خدمة ناجحة لديموقراطية التعليم .

نافذة نطل منها على أنحاء العالم .

وسيلة للتغلب على عيوب التعليم .

بيد أن مشكلات عديدة تواجه التليفزيون التعليمى وهو يسعى لتحقيق هذه الغايات ؛ بعض هذه المشكلات يظهر عادة أمام أية وسيلة تعليمية جديدة ، وبعضها الآخر يتعلق بالتليفزيون ذاته كوسيط فى عملية التعليم وكجهاز الكترونى معقد . وبرغم امكانيات التليفزيون التى لا حد لها فى مجال التعليم المباشر والتدريب على المهارات الفنية واختصار الوقت والجهد والتكاليف ، يلاقى التليفزيون التعليمى مقاومة من بعض المشتغلين بالتعليم فى المدارس الذين يقفون دائما ضد أى تغيير فى انماط التعليم وبوجه خاص المعلمين الذين تعودوا على تعليم جماعات من التلاميذ فى مواقف تعتمد على التوجيه الفردى ولهذا فهم يتوجسون خيفة من أن يحل التليفزيون محل المعلم ، أو أن تطغى مكانة المذيع على شخصية مدرس الفصل . وقد حدث فى التجربة الأمريكية فى هاجرز تاون أن أبدى التلاميذ ميلا الى اعطاء أهمية زائدة لمعلم التليفزيون .

ويتشكك بعض المعلمين فى قيمة التليفزيون مع ايمانهم بقدرته على التغلب على كثير من المشاكل الادارية والتربوية التى تعوق عملية التعليم : فالتليفزيون كوسيلة الكترونية لابد أن تتوفر له آلات ومعدات وأجهزة معقدة تحتاج الى صيانة دائمة وقد يؤدى الخلل فى التشغيل أو الارسال أو الاستقبال الى فساد العملية كلها خصوصا اذا كنا نعطى للتليفزيون دورا أساسيا فيها .

ويثير التربويون نقطة أخرى تتعلق بموقف التلاميذ من التليفزيون ، وهى : كيف يستطيع عدد كبير من الطلاب أن يتلقوا تعليما ناجحا دون أن يوجهوا أسئلة الى معلم التليفزيون ؟ والى جانب هذا فالتلاميذ يشاهدون البرامج اما فى بيوتهم أو فى الفصول وقد ارتبط التليفزيون فى أذهانهم بوصفه مصدرا للاستمتاع والتسلية . وقد أثبتت التجربة البريطانية أن الأطفال يقرنون التليفزيون المدرسى بالبرامج الترفيهية فى التليفزيون العادى لا بالدروس نفسها وكان الحل هو التأكيد على العروض الشيقة السريعة الحافلة بالمادة المثيرة بصريا . والحق أن هذا الحل نفسه يخلق اشكالا جديدا يتعلق بكمية الاثارة التى لا ينبغى أن تطغى على نوعية التعليم وحجم المادة المعطاة فى كل حلقة من دروس التليفزيون .

نظـــرة إلى المستقبل

على أن حجز الزاوية فى هذه الاشكالات جميعا هو موقف المعلم لأن التليفزيون والتعليم لن يسيرا قدما آلا باعادة توصيف دورا لمعلم وتحديد علاقته بالتليفزيون ومذيعيه أثناء استخدامه فى التعليم . فالإصـــلاحات التعليمية تتطلب دائما من المعلمين الفهم والمعاونة وقد أعطى المؤلف امثلة كثيرة لهذا التعاون فى سياق الكتاب ، من المشاركة آلمباشرة فى تخطيط الدروس من جانب المعلمين فى الولايات المتحدة آلى تنظيم اجتماعات سنوية بين المعلمين والاذاعيين فى فرنســـا الى تأسيس آلمجالس الاستشارية بين المنظمات الاذاعية والتعليمية فى المملكة المتحدة .

ان التليفزيون لن يســـد الثغرة بين آلعالم المجهول وجماهير المتعطشين الى العلم والمعرفة الا بعقـــد صلة مباشرة بين الشاشة ومستقبلى البرامج التعليمية ونقطة آلبـــدء الرئيسية هى التعاون بين المعلمين والتليفزيونيين والتلاميذ ، هى العمل المنسق بين الانتاج والعرض والاستعمال بحيث ننمى فى التلاميذ آلقدرة على الاعتماد على النفس والتجاوب مع برامج التليفزيون .

أما العـــلاقة بين المعلم والمذيع فمن الممكن أن تقوم على التعاون المثمر اذا التقيا من البداية على أرض مشتركة . والحل هو ايجاد مذيعين تعليميين لهم خبرة فى الميدانين وسيؤدى هذا الى نتيجة أبعد وهى خلق شكل جديد من آلتليفزيون التعليمى .

وهـــكذا يرسم كتـــاب « آلتعليم عن طريق التليفزيون » صورة لتاريخ استخدام التليفزيون التعليمى وتطوره فى عدد من الدول المتقدمة ويضع أمام القـــارىء نتائج التطبيق وآراء الخبراء فى التعليم بالتليفزيون من واقع ما توفر لدى اليونسكو من حصيلة التجربة ومن هنا تتضح أهمية الكتاب فى مجتمع يعول كثيرا على التليفزيون فى صنع التقدم .

وقد وافق ظهور الترجمة العربية للكتاب فى آلقاهرة انتهاء حلقة البحث الأولى فى مهرجان التليفزيون العربى الثالث بعد أن أتمت مناقشاتها فى ثمانى دراسات شغل التعليم أربعا منها . وكان أبرزها تجربتان فى محو الأمية وفى التدريب الفنى عن طريق البرامج التليفزيونيـــة . وقد أوضح البحث العربى حول « دور التليفزيون فى المجتمعات النامية » أن دروس محو الأمية بالتليفزيون تجربة رائدة بما توفر لهـــا من شروط الضبط العلمى والتنفيذ الدقيق والتعاون بين الهيئات المعنية . وأن تدريب الفنيين فى هندســـة التليفزيون عن طريق برامج الدائرة نصف المغلقة تأكيد لفاعلية التليفزيون فى مواجهة مشاكل النقص فى الخبرة الفنية وفى المهارات الصناعية المتقدمة .

ومما لا شك فيه أن وجودهذا الكتاب يجعلنا ننظر بمزيد من الثقة الى تجربتنا فى استخدام التليفزيون التعليمى ويتيح مزيدا من الفهم المشترك لطبيعة التليفزيون والتعليم ، فان وحدة الخبرة الانسانية وتداخلها ومظاهر الابداع فى حياتنا يمكن اظهارها بقوة على الشاشة الصغيرة وهنا يصبح للتليفزيون مهمة كبرى فى عصرنا .

ومن المؤكد أن المستقبل سوف يكشف عن امكانيات اللقـــاء بين التليفزيون والتعليم بدرجة أكمل .

محمود عبدالمجيد

سطور من كتاب ...

« انها لجريمة أن يقوم شخص بعقد اجتماع أو رياسته أو الخطابة فيه يضم أكثر من عشرة من الافريقيين ، أو يسمح بعقد مثل هذا الاجتماع فى مكان تحت اشرافه ، ما لم يصدر بذلك تصريح من رئيس أو زعيم القبيلة اذا وجد .. » .

... الحرية المدنية فى جنوب افريقيا

فن اختيار الكتب للمكتبات

تأليف

مارى كارتر ، والاس بونك

ترجمة : حبيب سلامه
مراجعة : حسن محمود
الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع المؤسسة العربية الحديثة
٣٦٢ ص ١٤×٢٠سم ث ٢٣ قرشا

يقول رجال الاقتصاد أنه اذا كان فى مقدرة كل انسان أن يرضى جميع حاجاته فان علم الاقتصاد لن يصبح ضروريا ، وكذلك يقول رجال المكتبات انه اذا كان فى امكان كل مكتبة أن توفر لديها جميع الكتب فانه لن تكون هناك ضرورة لفن اختيار الكتاب .

فالكتب هى حقا سجل التراث الفكرى للبشرية وهى تذكرنا بمعانى الحق والخير والجمال وهى الوسيلة لاعلان الرأى الجديد ، وتتضمن الصوت الذى يرتفع لأول مرة ومنها ينبع الاسهام الأصيل فى التطور الاجتماعى .

غير انه لا يمكن لمكتبة أن تحتفظ لديها جميع الكتب التى تنشر لاستحالة ذلك من الناحية المالية ولعدم توفر المكان الذى يتسع لها .

ولهذا قام رجال المكتبات بالعناية باختيار الكتاب ودرسوا الموضوعات التى تتصل به وتعين عليه كما حاولوا أن يضعوا قواعد عامة للاختيار ، واصبح هذا الموضوع من الموضوعات الطلية التى يدرسها طلبة فن المكتبات ، ومثل هذه الدراسة تفيد جمهرة المثقفين ومحبى الكتب ونقادها وناشريها ورجال التربية والصحافة والمتصلين باجهزة الثقافة والأعلام وذلك الى جانب فائدتها بالنسبة للمكتبيين أنفسهم .

والكتاب الذى أعرض له من الكتب القيمة فى موضوعه وضعه عالمان متخصصان فى العمل المكتبى الذى مارساه مدة طويلة . كما أنهما درسا مختلف النظريات فى كل باب فهو كتاب حاو للآراء المختلفة ووجهات النظر المتباينة .

والكتاب ينقسم الى جزءين أولهما اختيار الكتاب والأسس التى يقوم عليها وبيان الفرق بين اختيار الكتاب والرقابة على الكتب ، والقائم بالاختيار وأدواته ، وتغير قواعد الاختيار بعا لنوع المكتبة ، وقواعد لاختيار فى كل نوع من انواع المعرفة البشرية ، كما يعرض المؤلفان فى هذا الجزء لتنقية مجموعات المكتبة واستبعاد الكتب التى لا تلائم حاجات المجتمع .

أما الجزء الثانى فيدرس تزويد المكتبة بالكتب وغيرها من المواد المطبوعة كالنشرات والدوريات وتزويدها كذلك بالمواد غير المطبوعة مثل الأفلام والصور والتسجيلات الصوتية وغيرها من المواد السمعية البصرية . ويعرض المؤلفان فى هذا الجزء لموضوعين لهما أهميتهما لدى جمهرة المثقفين والباحثين وهما تجارة الكتب أو صناعة النشر ، والقوائم البيليوجرافية القومية والتجارية ، وهى القوائم التى تنشرها مكتبات الدولة فى كل قطر لتعرف بتراثها والقوائم الدورية الأخرى التى يستدل منها على الكتب الجديدة فى أهم الدول بأمريكا وأوربا .

وبالكتاب عدة ملاحق منها ملحق يتضمن ثلاثة بيانات عن اختيار الكتب أصدرتها هيئات مختلفة ، وآخر يتضمن نصوص السياسات والاجراءات المكتبية واختيار الكتب ، ثم قائمة شاملة بالمراجع التى استعان بها المؤلفان فى كتابهما . هذا بالاضافة الى القوائم المدرجة فى نهاية كل فصل لبيان أسماء المراجع والمطبوعات والقوائم التى أشار اليها فى النص وكلها بالانجليزية .

ويظهر منذ الفصل الأول مدى اختلاف وجهات النظر فيما يتعلق باختيار الكتب . فهل تختار هذه الكتب فى المكتبة العامة التى تهدف الى تيسير خدماتها لطوائف الشعب المختلفة تبعا لارتفاع قدرها العلمى ولأنها تعتبر من الكتب التى اكتسبت قيمتها فى الماضى ؟ واذا تم الاختيار على هذا الأساس فقد لا تجد هذه الكتب اقبالا من جانب جمهرة القراء . فهل معنى ذلك ان تختار الكتب وفقا لرغبات هؤلاء القراء كى تضمن المكتبة ترددهم عليها واستخدامهم لها وترتفع بذلك احصائيات روادها وتسجل نجاحا ظاهريا ملحوظا ؟ فى هذه الحالة فانه لن يمضى وقت طويل حتى تزدحم أرفف المكتبة بالنسخ المكررة من الروايات والقصص التى تستميل الجماهير وتستهويها بشهرتها العابرة ؟

ازاء مثل هذا الموقف يرى المؤلفان أن يكون الاختيار وفقا للغايات والأهداف التى تسعى المكتبات العامة الى تحقيقها ، وهذه الأهداف متنوعة منها ما يتصل بالثقافة والتعليم ومتابعة التقدم العلمى وتعويد القراء تعليم أنفسهم بأنفسهم ، ومنها ما يتصل بغايات اجتماعية ، فالمكتبة تعمل على مساعدة قرائها ليكونوا مواطنين صالحين فى عملهم وفى مجتمعهم المحلى وفى وطنهم عامة ، ومن وظائف المكتبة ما يتصل بالنواحى الروحية والجمالية ، فهى تعمل على تنمية الذوق الفنى وتنمية الطاقات الابداعية والروحية .

ومن هنا نرى أن هذه الوظائف متعددة متداخلة يجب التوفيق بينها فى اختيار المطبوعات مع مراعاة الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والأهداف القومية . هذا مع تحقق التنوع والشمول لنواحى المعرفة المختلفة ، كما تراعى الامكانيات الأخرى المتاحة فى المؤسسات والمعاهد الموجودة فى المنطقة . كل هذا بالطبع مع النظر الى الميزانية . ومراعاة كل هذه الأمور والتوفيق بينها ليس بالأمر الهين وانما يتطلب تحمل مسئوليات ضخمة لخدمة الجماعة من جانب المكتبى ، الذى عليه الحفاظ على القيم الأخلاقية والقومية مع تقدير حرية الفكر وذلك حين يقوم بالاختيار .

ويبين المؤلفان فى الفصل الرابع تغير القواعد المتعلقة باختيار الكتب تبعا لنوع المكتبة وحجمها ، فالمؤلفان وان قصدا بالاختيار أن يكون للمكتبة العامة التى تخدم الطوائف المتباينة فى التعليم والعمر والمهنة والدخل ، الا أنهما يتناولان بالتفصيل الفرق بين الاختيار للمكتبات العامة الصغيرة والمكتبات الكبرى فى العواصم ، هذا عدا جانب المكتبات الخاصة بانواعها كالجامعات والمعاهد والمدارس وغيرها . ومثل هذه المكتبات أهدافها أكثر وضوحا لارتباطها بمؤسسات لها عملها المحدد ، كما أن جمهورها محدود كذلك مما يجعل مهمة الاختيار فى مجالات أكثر وضوحا .

وفى الفصل الخامس يجمل المؤلفان الأسس المعروفة لاختيار الكتب التى من أهمها :

– كفاية المؤلف ومؤهلاته وخبرته فى « الموضوع » الذى يكتبه .

– هل يعالج الكتاب الموضوع كله أو جزءا محددا منه ؟ وهل يعالج موضوع دراسته على نحو شامل او مختصر ؟ وهل يهتم بالناحية التاريخية للموضوع ؟ وهل هذه الناحية مما يهم المكتبة ؟ .

ويحسن لبيان مدى الحاجة الى الكتاب أن يقارن بغيره مما كتب فى نفس الموضوع لبيان مدى الجديد الذى أضافه .

– منهج دراسته لموضوعه وأسلوبه وطريقة عرضه ؛ وهل هو متحيز لأفكار معينة أو هو يعرض للموضوع باعتدال وانصاف ؟

– يدرس الكتاب من حيث المظاهر المادية كموضوع الطباعة ومدى احتمال الورق ، وهل توجد به رسوم توضيحية أو خرائط أو قوائم للمراجع أو ملاحق ؟

– تاريخ النشر وهو هام فى الموضوعات العلمية نظرا للتطور السريع فى العلوم .

– الناشر وشهرته وتخصصه فى نشر مثل هذا الموضوع .

– يجب التفكير فى القارىء الذى يصلح له الكتاب . هل يصلح للطالب أو للقارىء العادى أو للعالم المتقدم ؟

ثم يحدثنا المؤلفان عن مقاييس معينة لكل نوع من المعرفة الانسانية ، وعن المواد الأخرى — غير الكتب — التى تحتاج اليها المكتبة والمصادر المتعلقة بهذه المواد من قوائم ودوريات تعين فى التعريف بالنشرات والأفلام والتسجيلات الموسيقية والصوتية ... الخ كما تعين فى تقدير قيمتها .

ويعرض المؤلفان لاختيار طبعة معينة من تلك الكتب التى تطبع أكثر من مرة . وهنا يجب أن نميز بين الطبعة المعادة reprint والطبعة الجديدة edition وهذه الأخيرة هى التى تدل على تغيرات واضافات أضيفت الى الطبعات السابقة . والطبعات القديمة لكتب الأدب قد تفيد أكثر من غيرها اذا كانت لها مميزات معينة ، وذلك لأن الأدب وتاريخه ليس من المواد التى تتطور سريعا .

ثم يحدثنا الكتاب عن مميزات الكتب المترجمة التى يجب أن تنقل الأسلوب والأفكار والانعكاسات النفسية للمؤلف الى لغة أخرى مع مراعاة أن تكون اللغةمقروءة ، ويشترط فى المترجم الالمام بالنواحى الاجتماعية والجو التاريخى للكتاب مع معرفة بالموضوع المترجم وبأعمال المؤلف السابقة وميوله . ويشترط فى المواد العلمية الالمام بالمصطلحات . وقد أعدت اليونسكو تقريراً عن الترجمة العلمية والفنية وما يتعلق بها من مشاكل .

وفى الجزء الثانى يعرض الكتاب لصناعة النشر ومواردها وتخصيص الناشرين وكيف أنهم يضطرون الى اختيار الكتب التى يتوقعون إقبال الجمهور عليها ، وكيف يعتمدون على حقوق البيع الاضافية للسينما والتليفزيون وأندية الكتب . وأظهرنا العرض الذى قدمه المؤلفان عن المطابع الجامعية فى الخارج والدور الذى تلعبه فى نشر تلك الكتب التى تسهم بنصيب وافر فى المعرفة .

وفى الفصل الثامن يحدثنا عن القوائم الببليوجرافية القومية فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وعن القوائم التى تسجل التراث القومى لهذه الدول ثم يعرض للقوائم الدورية الحديثة التى تعرض للكتب والمطبوعات وتعرف بها ، وهذه منها ما هو عام ، ومنها ما هو متخصص .

ذلك هو عرض سريع لأهم محتويات الكتاب القيم ، الذى قد يؤخذ عليه أنه يدرس المكتبات الأمريكية ويهتم بها أولا وبالذات ، ثم يلم الماما سريعا ببعض المراجع فى الدول الأوربية الكبرى . واذا ذكرنا هذا فيجب ان نذكر انه الف ليستخدم فى تلك المكتبات التى اهتم بها قبل كل شىء .

وقد يؤخذ على الكتاب أنه لرغبته مؤلفيه فى الالمام بمختلف الآراء فى فن اختيار الكتاب ، لم يعرض للأصول التاريخية لهذه المشكلة — أعنى مشكلة اختيار الكتاب — فى الغرب وهى مشكلة مرتبطة بانشاء المكتبات العامة فى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا ، ففى الأولى كان الدافع اليها مرتبطا بالثروات الفائضة والرغبة فى خدمة المجتمع ، وفى الثانية كان انشاء المكتبات مرتبطا بالحركة العمالية وقوانين العمل وتوفر وقت فراغ للعمال بعد أن تحددت ساعات العمل ، ومن المقارنة بين الوضعين ظهرت المشكلة وهى هل نحن نختار الكتب فى المكتبات العامة للترفيه وتزجية أوقات الفراغ أو نختارها من أجل التعليم عامة ، وتعليم الكبار خاصة ؟ وهو نوع من التعليم يتضمن ترقية العمال فى مهنهم أو فى مهن أخرى وذلك بمتابعة برامج منظمة من القراءة .

ومهما يكن من أمر فان هذا الكتاب يوحى بالكثير من الأفكار والآراء فى مجال القراءة والثقافة، ونرجو أن نرى فى مكتبتنا العربية مثل هذه البحوث التى تعرض لهذه المشاكل الثقافية الحيوية فى بلادنا .

ويمكننا أن نفيد من بعض المقاييس التى أوردها المؤلفان فيما يتعلق بمقاييس اختيار الكتب ، ومن هذه المقاييس مثلا وجود الكشافات والفهارس التحليلية لمحتويات الكتب العربية الهامة ، وتوفر البيانات والخرائط والملاحق بها .

وانا شخصيا استفيد من مثل هذه المقاييس بان احكم على الكتاب حكما نسبيا فاسأل ما هو الهدف من وراء تأليف الكتاب ؟ وهل نجح المؤلف فى تحقيق هدفه ؟ وهل هو صالح فى وضعه هذا ؟ كما يذكرنا الكتاب بضرورة الاهتمام بالقوائم الدورية للمطبوعات التى تعرف بمطبوعاتنا تعريفا معتدلا وتسجلها على نحو منظم يكفل الرجوع اليها والافادة منها . ويذكرنا كذلك بضرورة تخصيص ملاحق فى الصحف اليومية أو تخصيص صفحة أو بعض صفحة للكتب الجديدة لتعريف عامة الشعب بها ولتشجيع القراء على الاطلاع ، ولتقريب الكتب الى العقول والقلوب . ولا يفوتنا أن ننوه فى هذا المجال بالنشرة المصرية للمطبوعات التى تعدها دار الكتب وبمجلة الكتاب العربى .

ولا ننسى أن مترجم الكتاب رجل له ثقافته الواسعة فقد مارس العمل المكتبى ودرس المكتبات والصحافة وغيرها مما مكنه من النهوض بعبء الترجمة لهذا الكتاب القيم . وكم كنا نحب أن نرى قائمة بالاصطلاحات الفنية المترجمة فى نهاية الكتاب لتعين الدارسين .

عبد السلام شحاته

سطور من كتاب
خدمة الجماعة
فى المجتمع الاشتراكى

«لقد نبعت الخدمة الاجتماعية والاشتراكية من أصول واحدة تلك هى الاتجاهات الانسانية ، فقد نشأت الاشتراكية كاحتجاج على الآثار الاجتماعية السيئة للنظام الراسمالى ـ فقد هاجم الاشتراكيون الأول أمثال « لويس بلان » و « سان سيمون » النظام الرأسمالى لأنه نظام لا أخلاقى ، جعل التنافس هو الطابع الاساسى للعلاقات الاجتماعية ، فأهمل الانسان أخاه الانسان ، بل تصارع معه وافترسه ، لذلك نادى الاشتراكيون الاول باشتراكية على أنها البديل الأخلاقى للنظام الرأسمالى حيث لا يستغل الانسان الانسان ، بل يتعاون معه .

والخدمة الاجتماعية نبعت هى الأخرى من نفس الاتجاهات الانسانية فقد تطورت كصيحة احتجاج ضد الفقر وضد نظام الاحسان بصورته القديمة والتى كانت تهدر الكرامة الانسانية ، كما أنها عملت منذ تطورها على اقامة علاقات أفضل بين الأفراد والجماعات والمجتمعات ـ علاقات تتسم بالتعاون واحترام الفرد ، والاشتراكية تتفق مع الخدمة الاجتماعية فى الأهداف ، فالاشتراكية تدعو الى تكوين مجتمع الرفاهية ، والخدمة الاجتماعية تهدف الى نفس الغرض .

فالاشتراكية والخدمة الاجتماعية اذن متفقتان فى الأصل وفى الغرض » .



محمد مندور

كتاب مجد وكفاح

في العشرين من مايو الماضي شيعنا الى عالم الخلود موكبا من المواهب اجتمع في كيان رجل ، وودعنا مع هذا الموكب : أخاً عزيزاً نقي القلب في أخوته ، ومجاهداً في سبيل قضايا أمته صادق النية في وطنيته ، وعلما شامخا من أعلام الفكر له مكانة مرموقة في كل مكان ، وأستاذ جيل ممن يحملون الآن مشاعل النور في كل ميدان : في الثقافة والصحافة ، في النقد والمسرح ، في التوجيه والارشاد ، لأن ثقافته الرحبة المختلفة المواهب كانت تمد اشعاعها في كل جانب . وناقداً احتل في هذا الفن مكان الصدارة وتزعمه بأحقية وجدارة ، حين ودع المحاماة لينظر كقاض عادل نزيه في حكمه برىء في قصده ، الى قضايا الفكر ، فلم يترك كتابا يصدر الا كان له فيه رأى له قيمته ووجاهته ، وحكم له تقديره وقداسته .

ففي التاسع عشر من مايو خفت صوت الصديق العزيز والمجاهد الوطني القدير ، والأديب المفكر الكبير ، والناقد الحكيم النزيه ، الأستاذ الدكتور محمد مندور ، وكان هذا الصوت ملء الأسماع ، كما كان صاحبه ملء القلوب والنواظر محبة وتقديرا . وفي ذلك اليوم وقفت الحركة الدءوب التي كانت تبعث من هذا الكيان المتعب المضني النشاط في كل جوانب الحياة الفكرية ، ليبقى محمد مندور بعد ذلك ذكرى في قلوب أحبائه وعارفي فضله ، ولتبقى آثاره أمجاداً فكرية خالدة تعتز بها المكتبة العربية وتعوضنا بعض العوض عن الخسارة بفقده .

وليرحمه الله بقدر ما ضحى وجاهد ، وبقدر ما بذل وأسهم في خدمة الوطن والعروبة والثقافة في اخلاص وتفان أوسع الرحمات .

حسن كامل الصيرفي

أخبار الكتاب العربي في العالم

يقدمه مدير التحرير

● لم يكد الجزء الأول من الطبعة الثالثة المزيدة من كتاب « **المستشرقون** » الذى ألفه الأستاذ نجيب العقيقى – وهو أديب واسع الثقافة رحب الجوانب الفكرية – يظهر حتى كان الجزء الثانى من هذه الموسوعة الضخمة التى تصدرها « **دار المعارف** » قد ظهر ، ولا يكاد هذا العدد من هذه المجلة يطلع على الناس حتى يكون الجزء الثالث – وهو الأخير فى هذه الموسوعة – قد طلع على الناس ايضا بعد ان بلغت صفحاته حوالى ١٢٠٠ صفحة على حين كانت الطبعة الثانية ٢٤٠ صفحة .

وفى الحق ان اهتمام المستشرقين فى شتى بقاع العالم بالتراث الشرقى بعامة ، والتراث العربى بخاصة ، ليستدعى تأليف موسوعة كهذه تسجل جهود هؤلاء العلماء وتطلعنا على مداها وتكشف لنا عن كنوزها التى تحتفظ دوائر الاستشراق وخزائن الكتب فى العالم بنوادرها والترجمة لهؤلاء العلماء لنعرف عنهم مثلما عرفوا عنا حتى لا تتنكر للأمانة العلمية التى دفعت كثيرا من هؤلاء المستشرقين الى نشر ما نشروا من ذخائر تراثنا الفكرى عن اخلاص نية واداء واجب علمى امام تراث بهرهم واستحوذ على اعجابهم وظفر بتقديرهم وافناء حياتهم فى نشره بعد تحقيق ودرس ، أو ترجمته والتصنيف فى نشأته وتأثره وتطوره وأثره ثم موازنته بغيره ، واقفين عليه مواهبهم ومناهجهم وميزاتهم ، مصطنعين لنشره المعاهد والمطابع والمجلات ودوائر المعارف والمؤتمرات.

ولقد اضطلع بواجب العرفان لهذا الجميل والتقدير لهذا الصنيع الأستاذ نجيب العقيقى فهيأت له ثقافته الواسعة واطلاعه الجم وصلاته بالكثير من المستشرقين المعاصرين وبالدوائر العلمية فى أوروبا وامريكا أن يضفى على الطبعة الثالثة صفة الموسوعة التى تحيط بهذا الموضوع احاطة لا نبالغ اذا قلنا انها شاملة ، قضى فيها ست سنوات منقبا عن التراث الشرقى من فجر الحضارة الى اليوم ، محصيا نشاط المستشرقين فيه حتى فى مقالاتهم ، ولمعظمها قيمة دراسية فى ذاتها ، محاولا توسيع آفاقه التى خفى بعضها عنا .

وقد عالج الأستاذ العقيقى فى الفصول الأولى من الكتاب : مهد الحضارة ، والعرب قبل الاسلام ، وفتوح الاسلام ، وما استحدثه من فنون وآداب وعلوم ارست عليها اوروبا نهضتها الحديثة . ومن خلال ذلك عالج ثقافة البحر الأبيض المتوسط الانسانية ، واستيعاب اللغة العربية تراث الاسلام ، مما كان حلقة اتصال بين تراث اليونانية القديمة واللاتينية

الحديثة . واوضح كيف ظهر المستشرقون على طرق النهضتين وتناولهم تراثنا فى تأثره وتطوره وتأثيره بالكشف والجمع والصون والتقويم والفهرسة والدرس والتحقيق والترجمة والتصنيف .

وهو فى خلال هذا يترجم لهؤلاء المستشرقين ويجلو اعمالهم ، ويحدد زمان تلك الأعمال ومكانها ، ويذكر أسماءها ، ثم يشير الى كراسى الاستشراق فى الجامعات والى جمعيات المستشرقين ودوائرهم العلمية ومطابعهم ومكتباتهم ومتاحفهم ومجلاتهم ومجموعاتهم ومؤتمراتهم وآثارهم التى نشروها . وقد انتهى الجزء الأول بالكلام على الاستشراق الفرنسى والايطالى واثر الشرق فى اديبهما .

اما الجزء الثانى فقد تناول فيه الاستشراق فى : انجلترا ، واسبانيا ، والبرتغال، والنمسا، وهولندا ، والمانيا ، وبولونيا ، والدانمرك .

واما الجزء الثالث فقد تناول هذا الموضوع فى : سويسرا ، والسويد ، والمجر ، وروسيا ، والولايات المتحدة الامريكية ، وبلجيكا ، وتشيكوسلوفاكيا ، ورومانيا ، ثم الرهبان واللبنانيين الذين قاموا بتدريس العربية فى تلك الدوائر . ثم موقف كتابنا من هؤلاء المستشرقين وجزاء مؤسساتنا العلمية لهم . واشتمل هذا الجزء على فهارس عامة لفصول الكتاب ، واعلام المستشرقين ، واسماء المؤلفين الذين نشرت آثارهم ، واسماء المؤلفات والآثار التى نشرها هؤلاء المستشرقون ، ثم فهرس النواحى والأغراض التى تخصص فيها هؤلاء العلماء ليكون مرجعا أمام الباحث يعرفه برواده وبمدى هذا التخصص .

● وبهذه المناسبة نذكر ان من اهم جهود هؤلاء المستشرقين **« دائرة المعارف الاسلامية »** وهى أوفى مرجع عن الحضارة الاسلامية وما يتصل بها من فنون وآداب وعلوم وتراجم لعظماء الاسلام والشرق .

وقد نبتت فكرة هذه الدائرة فى رؤوس بعض العلماء المستشرقين سنة ١٨٩٥ فدعوا اليها وما لبثت المجامع العلمية ومؤسسات النشر أن امدتهم بالمال ، فنهض بها : هوتسما ، وفنسنك ، وارنولد ، وهفنج ، وبروفنسال ، وباسيه ، وهارتمان ، وجب . فصدر الجزء الأول منها بالألمانية والفرنسية والانجليزية سنة ١٩١٣ وكان يشرف عليها الأستاذ هوتسما منذ سنة ١٩٠٦ حتى سنة ١٩٢٤ وهو مستشرق هولندى تلقى علوم العربية والفارسية والتركية من جامعة اوترخت ثم قام بتدريسها فى هذه الجامعة ثم فى جامعة ليدن . وانتخب عضوا فى المجمع العلمى العربى بدمشق ، وتوفى عام ١٩٤٣ بعد أن جاوز التسعين من حياته ، ثم اشرف عليها فى سنة ١٩٢٤ المستشرق الهولندى فنسنك الذى تخصص فى اديان الشرق وعنى بالحديث وصنف كتاب « مفتاح كنوز السنة » باللغة الانجليزية وترجمه الى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، فأصدر ثلاثة اجزاء من هذه الدائرة وذيلا لها من سنة ١٩١٣ الى سنة ١٩٣١ . ثم تألفت لجنة جديدة لنشر طبعة جديدة من هذه الدائرة بتحقيق لموادها واضافة مواد جديدة اليها ، وقد منحت مؤسسة روكفلر هذه اللجنة مبلغ ٤٥ الف دولار سنة ١٩٦٢ لتتم هذه المهمة .

وفى سنة ١٩٣٣ فكر فريق من شبابنا المثقف فى ترجمة هذه الدائرة ، وتغلبوا على صعابها ومشاقها وكونوا من انفسهم لجنة ترجمة تنهض بهذا العمل فى صمت ودأب ، وكانت تلك اللجنة مكونة فى مبدأ امرها من الدكتور محمد ثابت الفندى والأستاذ ابراهيم زكى خورشيد والدكتور عبد الحميد يونس والأستاذ احمد الشنتناوى . واخرجوها فى اعداد دورية ظهر الجزء الأول منها فى اكتوبر سنة ١٩٣٣ . وقد صدر منها حتى الآن خمسة عشر مجلدا ، يضم كل مجلد منها اثنى عشر عددا . وقد ظهر اخيرا الجزء السادس من المجلد الخامس عشر الذى يضم من بين موضوعاته مادة (طلاق) .

وتمتاز الترجمة العربية بالتعليقات والشروح التى يقوم بها اعلام الفكر فى مصر والشرق العربى عما يكون فى بحوث المستشرقين

من نواح هى فى حاجة الى تفنيد رأى جامح أو تحقيق موضوع مال به كاتبه عن جانب الحق ، أو توضيح غامض أو بسط لمسألة أوجز فيها القول .

ومن حسن الحظ ان أكثر المواد التى أضيفت فى الطبعات الافرنجية الجديدة ستستوعبها الترجمة العربية لهذه الدائرة ، وبذلك تضم الى ميزتها التى أشرنا اليها ميزة الجمع بين الطبعة القديمة والطبعة الجديدة .

● فى سلسلة « روائع المسرح » التى تصدر عن « الدار المصرية للتأليف والترجمة » تنشر مسرحية « **عرفوا مايريدون** » تأليف سدنى هوارد ، وهى المسرحية التى ظفرت بجائزة بولتزر للدراما . وقد قام بترجمتها الأستاذ عبد الله حسين ، وراجعها الأستاذ على جمال الدين عزت ، ثم كتب مقدمتها الأستاذ أنيس منصور .

وقد عهدت هذه الدار الى الأستاذ عبدالله حسين بترجمة كتاب « **السنوات الأخيرة فى حياة شكسبير وراسين وابسن** » تأليف «كنيث موير » استاذ الأدب الانجليزى بجامعة ليفربول، وهو الى ذلك شاعر وناقد ومخرج، نشر خمسة كتب عن الدراسات الشيكسبيرية ، وترجم الى الانجليزية شعرا خمس مسرحيات لراسين ، واخرج مسرحيات لابسن .

وهو فى كتابه « **السنوات الأخيرة فى حياة شيكسبير وراسين وابسن** » يتناول بالدرس والتحليل الأعمال الأخيرة لهؤلاء الثلاثة من عمالقة المسرح ، ويدحض ــ خلال دراسته ــ الرأى القائل بأن الضعف والوهن يسريان من شيخوخة الفنانين الى آثارهم ، فيثبت أن الأمر على غير هذا الرأى ، وأن آثار هؤلاء العمالقة فى أخريات حياتهم قوية ثابتة .

● لم يزل الدكتور محمد يوسف نجم منذ أعد رسالتيه الجامعيتين « القصة فى الأدب العربى الحديث » ثم « المسرحية فى الأدب العربى الحديث » يواصل البحث وراء المسرحيات التى ألفت أو ترجمت فى القرن الماضى وأوائل القرن الحالى حتى استطاع أن يحصل على مجموعة كبيرة من المسرحيات المطبوعة والمخطوطة التى ظهرت فى هذه الفترة .

ثم رأى أخيرا أن يعين الدارسين فى الأدب الحديث بعامة ، وفى أدب المسرح بخاصة ، فييسر لهم الرجوع الى هذه المصادر النادرة ، فرتبها فى حلقات تنتظمها سلسلة واحدة هى « **المسرح العربى ــ دراسات ونصوص** » تحتوى كل حلقة منها على ما تيسر له جمعه من مسرحيات مارون النقاش ، والشيخ أحمد أبو خليل القبانى ، ومحمد عثمان جلال ، ونجيب الحداد ، وسليم النقاش ، والشيخ عبد الله البستانى ، ويعقوب صنوع ، وفرح انطون ، وابراهيم رمزى وعباس علام وغيرهم ممن خدموا المسرحية العربية . ثم يقدم كل حلقة بدراسة يعتمد فيها فيما يعتمد على دراساته السابقة لهذا الموضوع .

وقد حرص فى نشر هذه المراجع على المحافظة على نصوصها دون تغيير أو تصحيح الا فيما يكون خطأ مطبعيا ، لتظل هذه المسرحيات وثائق أسلوبية ، فضلا عن انها وثائق أدبية ، ولتكون فى أسلوبها مادة للدارسين الذين يبحثون فى تطور الأسلوب العربى فى النهضة الحديثة .

وقد ظهر من هذه النصوص : « **مارون النقاش** » و « **الشيخ احمد أبو خليل القبانى** » و « **يعقوب صنوع (أبو نضارة)** » .

واضطلعت « دار الثقافة » ببيروت بأمر نشر هذه السلسلة من الدراسات والنصوص .

● اهتمت الدوائر العلمية فى السنوات الأخيرة بوضع طائفة من المعاجم ، منها ماهو شامل ، ومنها ماهو مقصور على فن من الفنون ، وذلك للنهضة الثقافية الواسعة التى تشمل جوانب حياتنا أدبية وعلمية وفلسفية واقتصادية وصناعية . وقد أشرنا فى هذا الباب فى أعداد سابقة الى بعض الجهود التى تبذل فى هذا السبيل .

ونذكر هنا أن الأستاذ منير البعلبكى أحد صاحبى « دار العلم للملايين » ببيروت قد انتهى من اعداد « **معجم انجليزى عربى** » يضم المصطلحات المختلفة التى انتهت من تعريبها

المجامع اللغوية فى البلاد العربية فى شتى فروع المعرفة ، وقدمه للطبع .

● انتهى الاديب السعودى الاستاذ سيف الدين عاشور رئيس تحرير مجلة « قافلة الزيت » من تأليف رواية عنوانها ((**لا تقل وداعا**)) يعالج فيها الحياة فى الجزيرة العربية منذ ربع قرن . وسيقدمها للطبع قريبا .

● ظهر فى سلسلة « تراثنا » التى تنشرها « الدار المصرية للتأليف والترجمة » الجزء الثالث والأخير من كتاب ((**اعراب القرآن**)) المنسوب للزجاج بتحقيق الاستاذ ابراهيم الأبيارى . وقد انتهى الأستاذ المحقق الى راى فى اسم مؤلف الكتاب حيث لم يذكر من ترجموا للزجاج كتابا له بهذا الاسم ولان فى الكتاب نقولا عن اعلام تأخرت وفاتهم عن وفاة الزجاج . وفى ضوء هذا الراى توصل الى ان مؤلفه مغربى لا مشرقى لتحامله على المشارقة ، وان هذا المؤلف هو ابو محمد مكى بن أبى طالب حموش الذى ولد بالقيروان سنة ٣٥٥ وتوفى سنة ٤٣٧ هـ . حيث ذكر فى كتابه بعض مؤلفاته التى وردت فى ترجمته .

● من اعلام المؤرخين المسلمين الامام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى المولود بدمشق سنة ٦٧٣ هـ ، وتوفى سنة ٧٤٨ . وقد خدم فن التراجم فى تآليفه العديدة ، وكتابه ((**تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام**)) يعد فى مقدمة هذه التآليف . يتناول فيه التاريخ من اول الهجرة الى عام ٧٠٠ هـ ويجمع فيه بين الحوادث والوفيات ، وقد قسم هذه المدة الى سبعين طبقة كل طبقة لعشر سنين ، ورتب كل طبقة على المعجم .

ومنذ سنوات والأستاذ حسام الدين القدسى صاحب « مكتبة القدسى » يعمل جاهدا على نشر هذا الكتاب الموزعة اجزاء مخطوطاته على شتى المكتبات فى العالم . فنشر من قبل خمسة اجزاء ، ثم صدر أخيرا الجزء السادس وهو يبدأ بالطبقة الخامسة عشرة ، الى جانب ما نشره الأستاذ القدسى من ذخائر المكتبة العربية .

● ثلاثة دواوين جديدة من الشعر لثلاثة من شعراء جيل جديد يبشر بالخير تربط بينهم وشائج متينة : رهافة حس ، وحيوية شعور ، وجمال اداء ؛ وهم فى ادائهم لم يقطعوا ما يصل حاضر الشعر بماضيه . فاما الدواوين فهى : ((**الأنداء المحترقة**)) و ((**وعلى الارض السلام**)) و ((**لك اغنى**)) . واما الشعراء فهم : كمال النجدى ، ومحمد الجيار ، ومحمد حليم حامد غالى . سعدت بلقاء الثانى والثالث ولم أسعد بلقاء الأول .

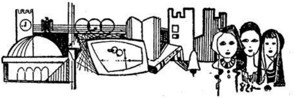
وصاحب ((**الأنداء المحترقة**)) كمال النجدى الذى لم التق معه وانما التقيت مع شعره يوم قرات له اول ما نشر منذ سنوات شاعر خطا فى رياض الشعر بقدمين ثابتين ، وحلق فأجواء الشعر بجناحين قويين ، يحمل معه ذخيرة من لغة الشعر ترده الى العصر العباسى لولا معان تربطه بعصرنا الحديث متجاوبة مع المدارس المعاصرة للشعر .

وصاحب ((**وعلى الارض السلام**)) محمد الجيار شاعر وقاف اللفظ اثيرى المعانى . موسيقى شعره حتى فيما حاول ان يخرج به عن قاعدة الشعر العربى ترده الى قاعدته فى سكينة لأنه فى ثورته شاعر حب وسلام قبل كل شىء ، ولذلك استطاع ان يوفق بين الفاظه ومعانيه توفيقا مبدعا .

وصاحب ((**لك اغنى**)) محمد حليم حامد غالى شاعر طوى غلاف هذا الديوان على قصائد تغنى فيها بأمجاد وطنه . وهو شاعر حب وسلام أيضا ، ثروته من متين اللفظ وجميله كبيرة مع معان اثيرية كذلك ، استطاع بها أن يجعل من هذه الأغنيات الوطنية اغانى بعيدة عن الافتعال ، لا تفقد جمالها بانقضاء مناسبتها .

وبأمثال هؤلاء الشعراء الثلاثة نسعد بأن جيلا من الشعراء فى طريقه الى حمل راية الشعر عالية خفاقة .

حسن كامل الصيرفى



تعريفات

البعثات العلمية الشهيرة

تاليف : رايموند هولان

ترجمة : الدكتور سيد رمضان هدارة .

الناشر : دار المعـــارف بمصر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ـ ١٢٣ صفحة ١٧ × ٢٠ .

ث ٣٠ قرشا

هذا الكتاب يبحث فى بعض الكشوف العلمية الشهيرة التى درجت على العالم منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الثلاثينات من هذا القرن . والمقصود من الكتاب شرح حال هؤلاء النفر من المغامرين والباحثين عن المعرفة فى أعمـــاق البحار وعلى قنن الجبال وفى المقابر الفرعونية القديمة وفى الجزائر النائية وفى أغوار القطب الشمالى .

الكتاب اذن يهم المتخصصين فى فروع مختلفـــة من المعرفة ، ففيـــه حديث عن كرة الأعماق التى استطاعت أن تهبط بالانسان الى أعماق من المياه لم يكن قد وصل اليها من قبل ، وحديث آخر عن تسلق جبل ماكينلى فى آلاسكا الذى يعد من بعض النواحى أعلى من جبل أفرست نفسه .

ولم يغفل المؤلف أن يروى قصة اكتشاف مقبرة مصرية مشهورة ، هى مقبرة توت عنخ آمون التى بهرت الدنيـــا ولا تزال . واذا كان التنين حيوانا خرافيا عاش فى أحقاب متباعدة أو فى مخيلة الناس ، فان المؤلف أثبت أنه موجود بقيد الحياة فى جزيرة قاصية من جزائر الهند الشرقية . كذلك هنـــــاك حديث عن كيفية قهر القطب الشمالى فى السنوات الأولى من هذا القرن .

والكتاب الى هذا ـ كتاب أدبى يهم هؤلاء المغرمين بأدب الرحلات ، وما يصاحبه من خيال واسع ومغامرات جريئة وصور جميلة ممتعـــــة . ولا عجب فصاحبه أديب شاعر وقصصى متمكن وكاتب سير الى جانب اهتماماته العلميـــة الحسنة .

جولة مع أدباء شمال أفريقيا

تاليف : فوزى عبد القادر الميلادى

الناشر : الدار القومية ـ مذاهب وشخصيات ـ ٧٣ صفحة ١٧ × ٢٤ .

ث ٢٠ قرشا

قليل منا من يعرف الملامح الادبية لدول المغرب العربى ، وقد كان هذا نتيجة للسيطرة الأجنبية على تلك البـــلاد سنوات عـــديدة من تاريخهـــا ، وما قام به الاستعمار من محاولة صبغها بالصبغة الفرنسية فى ميادين الثقافة كافة وبخاصة فى الجزائر . غير أن هذا الوضع لم يلبث أن تغير بعد النهضة القومية العملاقة هناك ، وبعد أن تنبه الشعب الى حقيقة وضـــــعه العربى وانتمائه الى شعوب القومية العربية .

وقد بدأت ثمار هذه النهضة فى الوضـــوح مع سنى الجهاد التى تلت الحرب العالميـــــة الثانية ، وحلت اللغة العربية محل اللغـــــة الفرنسية كوسيلة فى التعبير عنـــد الغالبية من الأدباء المغاربة . وهذا ما نستدل منه على ان اللغة العربية ما زالت بخير وسوف تكون دائما بخير .

وهذا الكتاب يعد فى الحقيقة دراسة نقدية جادة لخمسة نماذج من أدب المغرب العربى هى الأشعة السبعة لعبـــد الحميد بن هدوقة والقلب الكبير لعبد العزيز السعداوى وفوارة الظمأ لمحمد الصباغ ودخان من قلبى للطاهر وطار وبرق الليـــل للبشير حزيف ، الأول والرابع من الجزائر والثانى والخامس من تونس والثالث من المغرب .

واذا كان الخط السياسى هو أوضح الخطوط الفكرية فى هذه الكتب الخمسة وبخاصة فى الأشعة السبعة ودخان من قلبى ، الا أن الخـــط الاجتماعى وما يرتبط بالاسرة يتجلى فى قصة القلب الكبير ، والخط التاريخى فى قصة

برق الليل ، بينما كانت فوارة الظمأ موضوعات متفرقة فى ميادين شتى مكتوبة بأسلوب يتسم بالرشاقة والجزالة .

والاستاذ الناقد الى جانب توفيقه فى عرض نماذج من ادب شمال افريقيا عرضا طيبا أمينا ينبهنا الى مسألة هامة ، وهى انه كى نحقق اتصالا ثقافيا متينا بيننا وبين دول المغرب العربى من الضرورى بل من الضرورى جدا تشجيع حركة تبادل الكتب بين هذه الأقطار الشقيقة توطيدا لدعائم القومية العربية وتقوية لها .

العقاد فى ندواته

بقلم : محمود صالح عثمان .

الناشر : دار الفكر الحديث .٢٤٠ صفحة ١٧ × ٢٠ .

ث ١٥ قرشا

من الشواهد الدالة على عظمة رائد كبير من رواد الفكر العربى الحديث تلك الدراسات التى توالت فى مدى عام بعد وفاته . وكثير من هؤلاء الذين كتبوا هذه الدراسات لم يكونوا من انصار العقاد ومريديه ، لكنهم يشهدون جميعا بأصالة العقاد ومكانته المرموقة فى النهضة الثقافية المعاصرة .

وهذا الكتاب الفه احد مريدى العقاد ، عرفه منذ سنوات بعيدة ، ثم انقطع عنه سنوات أخرى ، لكنه ابتداء من عام ١٩٦١ لم يتخلف عن ندوة من ندواته التى كان يعقدها بمنزله صباح يوم الجمعة من كل أسبوع ، وكان يسجل ما يقوله العقاد فى هذه الندوات فى ميادين الأدب والحكمة والفلسفة والعلوم والتاريخ .

والقيمة الحقيقية للجهد الذى بذله الأستاذ محمود صالح عثمان تبدو أولا فى أن هذا الكتاب سجل جامع لكثير من الندوات العقادية ، وعلى هذا فان مادته جيدة ومن الممكن الرجوع اليها للكتابة عن العقاد ، وكان من الممكن أيضا أن يرتفع حظ المؤلف من التوفيق اذا هو رتب هذه الندوات ترتيبا زمنيا أو ترتيبا موضوعيا ، فانه كان بذلك يؤدى خدمة كبيرة للثقافة العربية وللثقافة الانسانية بوجه عام .

الفلاح فى الأدب العربى

تاليف : محمد عبد الغنى حسن

الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ المكتبة الثقافية ـ ١٥٦ صفحة قطع صغير

ث قرشان

جميل ان نؤرخ للفلاح فى الأدب العربى ، وجميل أيضا ان يتصدى للكتابة فى هذا الموضوع أديب فلاح ، راعه فى امهات كتب الأدب وقديم مصادره « ان الفلاح مهمل الذكر مغفل الاشارة اليه متروك الحديث عنه » ، فكان هذا هو السبب الذى اداه الى التاريخ للفلاح فى الأدب العربى ، مع الاهتمام بالعصر الحديث اهتماما خاصا .

يبدأ الكتاب بالحديث عن لفظة الفلاح وتطورها على مر العصور ، ثم مكانه فى الشعر العربى وفى القصة العربية وفى ادب المقالة ، ثم اخيرا فى مجال الدراسة والبحث الاجتماعى .

واذا كان الكتاب يحكى قصة الفلاح فى الادب العربى ، فان معنى هذا أن المؤلف لم يجعل الكتاب قصرا على قصة الفلاح فى الأدب المصرى فحسب ، انما اشار الى أدباء العراق والشام الى جانب اشارته الى الأدباء المصريين .

ولكن المؤلف اذا كان قد اهتم بدراسة ما نقله الشعراء العرب فيما يتصل بموضوع الفلاح الا انه جعل اهتمامه الاساسى فى دراسة الفلاح فى القصة العربية فى الأدباء المصريين وحدهم ، كذلك فيما يختص بأدب المقالة ومجال الدراسة والبحث الاجتماعى .

وهناك شىء آخر لاحظناه فى هذا الكتاب ، وهو ان المؤلف أغفل الحديث عن الفلاح فى أدب المسرح ، وهو حديث مهم . صحيح ان المسرحية الحديثة جاءت فى ذيل فنون الأدب التى اخذناها عن الغرب ، لكن هذا لا يعنى ان مسرح الحكيم ويوسف ادريس وسعد وهبه لم يلتفت الى أهمية الفلاح فى المجتمع العربى .

ورغم هذا فان الكاتب أصاب توفيقا كبيرا فى كتابه هذا ، لأنه فتح الباب للكتابة فى موضوع الفلاح ، وهو كما نعرف موضوع جليل الشأن عظيم الخطر ، كما انه لم يتناول اعمال كبار الأدباء وشعرائهم فحسب ، وانما أعطى اهتماما خاصا للأدباء المعاصرين والشبان منهم ، هذا الى ان المؤلف قد صاغ أفكاره الجديدة الجيدة فى أسلوب حسن وتسلسل ذهنى سليم .